(مقدمة)

عزف كثير من الأدباء عن الكتابة للأطفال، خوف الاتهام بالإسفاف، أو طلبا للشهرة والمجد في أعمال أخرى؛ فقد ارتبط في الأذهان أن الكتابة للأطفال ليست طريقا إليهما غالبا، ومع شيوع هذا الزعم ووجاهته إلى حد كبير، فقد انبرى عدد من الأدباء لأدب الأطفال، وكرسوا جهودهم لهذا الميدان، وراحوا يبدعون فيه شعرا ونثرا؛ يحاولون سد هذه الثُّلْمة الثقافية الغائرة، فقد دعت إليه ضرورات عصرية، وحتَّمت وجودَه مستحدثاتُ الحياة في العصر الحديث؛ ففي إهمال الكتابة للطفل في هذا العصر الذي شهد انفتاحا حضاريا غير مسبوق، تهديد لكِيان المجتمع، وترك الطفل العربي فريسةً لمعاول الهدم وعوامل التغريب والانحراف، يلقى مصيرا مجهولا بمفرده، دون سند أو ظهير، ومن هؤلاء المبدعين: "أحمد شوقي"، و"محمد عثمان جلال"، و"كامل كيلاني"، وغيرهم.

وكانت "شاعرة الوادي" واحدة من هؤلاء الأدباء الذين استجابوا لهذه الحاجة الماسة؛ فانطلقت بما تملك من طاقات إبداعية وأدوات فنية، تخاطب الأطفال بصور أدبية مختلفة؛ فكتبت لهم عددا من المجموعات القصصية، والدواوين الشعرية، وقدمت لهم كثيرا من البرامج الإذاعية، وعبّرت في ذلك كله عن قيم إسلامية وعربية أصيلة، وصدرت عن نفس متفائلة وثَّابة، تتعشَّق الجمال، وتتحسس مواطنه، وتتلمس غاية كبرى في تثقيف الطفل وتهذيبه، وتغذية خياله، وحَفْز عواطفه وأحاسيسه.

وتعد تجربة "نوال مهنى" الشعرية التي تتجه فيها للأطفال، تجربةً متميزةً، تظفر بكثير من ملامح القوة والجدية في الأداء، سواء من ناحية الكم الشعري الذي يدل على اهتمامها وحرصها على الإفضاء بتجربة كاملة للأطفال، أو من ناحية المضمون وما يزخر به من نفائس الحكمة والنصح والتوجيه، أو من الناحية الجمالية التي أولتها عنايتها، وأفاضت عليها عبقا ساحرا من موهبتها وملكتها الإبداعية.

ويدور هذا البحث في عالم "نوال مهنى" الشعري في دواوين الأطفال الثلاثة عندها: (أغاني الطفولة- أناشيد الطفولة- أهازيج الطفولة)، هادفا إلى تجلية محورين أساسيين هما: القيم التربوية، والقيم الجمالية أو الفنية، وهما عنوان لأهداف شعر الأطفال وغاياته؛ فإن دارسي هذا الشعر يكادون يتفقون على أن أهدافه تربوية، ثم جمالية، ولذا فقد جاء عنوانه:

(القيم التربوية والفنية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى")

وقبل طرح خطة البحث تنبغي الإشارة إلى أن شعر الأطفال عند "نوال مهنى" لا يزال بكرا لم تمسَّه أقلامُ الباحثين، ولكن هناك دراسات رائدة في أدب الأطفال، أصّلت له وبينت مقوماته وخصائصه الفنية، وأهمها:

- أدب الأطفال دراسة وتطبيق، د. عبد الفتاح أبو معال، دار الشروق-عمّان- الأردن، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

- المرجع في أدب الطفل، د. محمود حسن إسماعيل، دار الفكر العربي ٢٠٠٤م.

- المدخل إلى أدب الطفل د. لطفي أحمد بابكر، ود. فوزي محمود خضر، مكتبة الملك فهد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

أما المنهج السائد على هذه الدراسة فهو المنهج الفني القائم على تحليل النصوص واستنطاقها، قصد استخراج ما فيها من قيم تربوية وفنية، وتحقيق أهداف البحث، وإدراك مراميه الأساسية.

أما خطة البحث فتأتي على النحو الآتي:

يبدأ البحث بتمهيد يشتمل على التعريف بالشاعرة، وبيان مكانتها الأدبية، والإشارة إلى أهم أعمالها الأدبية، ثم الحديث عن "نوال مهنى" في مدخلين مهمين:

- "نوال مهنى" كاتبة.
- "نوال مهنى" شاعرة.

يلي ذلك مدخلٌ آخرُ في بيان المقصود بشعر الأطفال وأهميته، ثم يأتي صلب البحث في محوريه الرئيسين:

- القيم التربوية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى".
- القيم الفنية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى".

ويُذيل البحثُ بخاتمة تضم نتائجَه وتوصياتِه، وبفهرس للمصادر والمراجع، وآخرَ للموضوعات والأفكار التي تم تناولها في ثنايا البحث مفصلا.

هذا، واللهَ -تعالى- أسألُ أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، مكللا بالنجاح، مرفودا بالقبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(تمهيد)

التعريف بالشاعرة:[1]

نوال مهنى أحمد أبو زيد، تُشتهر بنوال مهنى، وتلقب بشاعرة الصعيد، وشاعرة الوادي، والأديبة الشاملة، وذلك لتنوع مجالات الإبداع الأدبي عندها؛ فهي تكتب الشعر والقصة والرواية والمسرح الشعري والنثري وأدب الأطفال والمقالات، وهي أديبة مصرية، ولدت في ١٥/٨/ ١٩٤٨م، في محافظة المنيا، وتقيم في محافظة الجيزة، تنحدر على ما يبدو من أسرة أدبية أخذت عنها حب الأدب والشعر، وهذا ما

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا المبحث على نسخة من السيرة الذاتية أرسلتها إليّ الأديبة بنفسها عن طريق بريدها الإلكتروني(nwal.mhnne@hotmail.com)، إضافة إلى ترجمة وافية لها في نهاية كتابها: "أوراق شاعرة" الجزء الأول ص ١٤٩، دار حراء للطباعة- المنيا ٢٠٠١م، وترجمة وافية أيضا في آخر ديوانها: "فيض الأشجان" تحت عنوان: "نبذة عن المؤلفة" ص٨٠ مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠م، وعلى مسرحيتها الشعرية :الجميلة والعراف، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، وعلى نبذة مختصرة عنها بعنوان: "الشاعرة في سطور" في نهاية ديوانها: "ذات مرة" ص١٠١ دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، كذلك على بعض الدراسات والمقالات النقدية التي نشرت حولها، وإلى مقدمات بعض الدواوين والقصص والمسرحيات التي كتبها لأعمالها بعض أعلام الأدب والنقد أمثال الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي.

يتضح من إهدائها ديوان: "أغاريد الربيع"، حيث تقول: " إلى روح والدي الراحل.. الذي علمني كيف أحب الأدب وأعشق الشعر "[١].

حصلت "نوال مهنى" على ليسانس الآداب من قسم الفلسفة وعلم النفس من جامعة المنيا، وعملت معلمة للفلسفة وعلم النفس بالمدارس الثانوية، ومشرفة على الصحافة المدرسية بوزارة التربية والتعليم المصرية، ثم (معدة برامج) من خارج الإذاعة والتليفزيون المصري؛ حيث أعدت الكثير من البرامج الثقافية الناجحة، منها برنامج: (حوار بالأشعار وأصل الحكاية) بالإضافة إلى برامج عن المرأة والطفل منها: (دار الهنا وبنت بلدي)، و(البلورة المسحورة)، و(رحلات ابن بطوطة)، كما أعدت للإذاعة (فوازير رمضان) لمدة خمس سنوات متصلة، ولا تزال تقدم وتبدع في كل هذه المجالات، متعها الله بالصحة والعافية.

مكانتها الأدبية:[٢]

تتبوأ "نوال مهنى" مكانة كبيرة في صفوف المبدعين والأدباء المعاصرين، ومن ثم فقد نالت حظا وافرا من اهتمام المشتغلين بالحركة الأدبية الحديثة، حيث أقيمت حولها عشرات من الندوات الثقافية التي تتناول أعمالها الأدبية بالعرض والمناقشة والتحليل، وكُتبت عنها دراسات لأدباءَ ونقادٍ متخصصين، ومن هذه الكتب التي احتفت بالكاتبة: كتاب تذكاري بعنوان (شاعرة من مصر) إعداد "أحمد علي حسن" صاحب مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ويضم مجموعة من الأشعار والمقالات والدراسات لنخبة من الأدباء والنقاد في العالم العربي عن إبداعاتها في مجالات الأدب المختلفة، كما قُدمت عنها رسالة دكتوراه بعنوان: (التواصل الشعري عند الشاعرة نوال مهنى) للباحثة: "شاهيناز أبو ضيف"، في كلية الدراسات الإسلامية للبنات جامعة الأزهر بأسيوط، كما توجد رسائل علمية أخري لا تزال في طور الإعداد، وللأديبة مشاركات إبداعية في العديد من الصحف والمجلات في العالم العربي، ودواوينها الشعرية مختارة ومعتمدة في قوائم مكتبات وزارة التعليم المصرية.

وقد مثلت شاعرة الوادي مصر في الكثير من المؤتمرات والمهرجانات الأدبية في الدول العربية والأجنبية، وقد تم اختيار بعض قصائدها ومسرحياتها في مقررات مناهج التعليم في دول: الإمارات، وقطر، والهند ، وفي تطبيقات البلاغة في الكتب الخاصة بالمراجعة في مصر، وقد نال إبداعها إعجاب كثير من أرباب اللغة وأنصار الكلمة الشاعرة كالدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، حيث يقول عنها: "إنها صورة من العبقرية الشاعرة، وصورة للمرأة الشاعرة... نوال مهنى اسم عميق الرنين في الشعر المصري العربي النسوي الحديث..." [٣]، وقال عنها الدكتور/ عبد العزيز شرف: "نوال مهنى وجه متألق، وصوت مميز في سيمفونية

---

(١) ديوان أغاريد الربيع، ص ٣، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.

(٢) أوراق شاعرة، نوال مهنى ١/ ١٥١.

(٣) الجميلة والعراف: نوال مهنى، المقدمة ص ٥.

شعر المرأة العربية المعاصرة، لها من مقومات الأصالة ما يجعلها تقف في مصاف الشعراء الكبار من الرجال والنساء على السواء"[١].

في نهاية ديوانها: "فيض الأشجان" ستة وعشرون تقريظا لعدد من الأدباء والأساتذة والنقاد والصحفيين تشيد بها وبإبداعها، وأدائها الفني الرصين، وتوجهها الشعري الأصيل فيما تطرق من موضوعات وأغراض.

شاركت شاعرة الوادي في عدة أندية ومنظمات وروابط أدبية عضوا أو رئيسا أو نائبا، مما ينم عن نشاطها الأدبي الواسع؛ فلها على سبيل المثال لا الحصر عضوية مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر، ومنظمة الكتّاب الإفريقيين، وعملت نائبة لرئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيسا لنادي الأدب والنادي المركزي بمدرية الثقافة بمحافظة الجيزة لعدة دورات[٢].

وحصلت "نوال مهنى" على كثير من الجوائز الرفيعة على إبداعها الأدبي، أهمها: جائزة الشاعر محمد التِّهامي للشعر العمودي ٢٠٠٩م عن ديوانها: (ذات مرة)، وجائزة التميز من اتحاد كتّاب مصر ٢٠١٤م عن مجمل أعمالها، وجائزة الشئون المعنوية للقوات المسلحة المصرية في القصة ٢٠١٦م عن قصة: (الشهيد الحي) [٣].

أعمالها الأدبية: [٤]

صدر لشاعرة الوادي عدةُ دواوينَ شعريةٍ، هي: (نبع الوِجدان)، و(أغاريد الربيع)، و(ذات مرة)، و(فيض الأشجان)، و(أنغام ثائرة)، و(أغاني الطفولة)، و(أناشيد الطفولة)، و(أهازيج الطفولة)، وهذه الثلاثة الأخيرة تمثل نِتاجها من شعر الأطفال. ومنه قيد الطبع: (لعبة الحروف)، وهي: أشعار تعليمية للأطفال.

وللشاعرة ثلاث مسرحيات شعرية: (الفارس والأميرة)، و(الجميلة والعراف)، و(على عتبات القدس)، ولها كذلك عدد من الروايات والمجموعات القصصية، ولها عدد من المقالات مجموعة في كتابها: (أوراق شاعرة: الجزء أول)، وفي عدد من الصحف والمجلات.

وقد اعتنت مجلات ومنافذ أدبية وثقافية مصرية وعربية كثيرة بنتاج شاعرة الوادي من قصائد وقصص ومقالات[٥].

نوال مهنى كاتبة:

تقف "نوال مهنى" على قدمين راسختين في ميدان الأدب النسائي الحديث؛ وهذا الحكم النقدي ليس ناشئا من الفراغ، وإنما عن نظرة

---

(١) ديوان فيض الأشجان ص ٨٧.

(٢) "أوراق شاعرة" نوال مهنى ١/ ١٥١، ١٥٢.

(٣) السيرة الذاتية للشاعرة ص ١، ٢.

(٤) ينظر: أوراق شاعرة ص ١٥٢، وديوان أناشيد الطفولة ص ٥٠، وديوان أهازيج الطفولة: ص ٦٠، والسيرة الذاتية للشاعرة ص ٣.

(٥) ينظر: ديوان أناشيد الطفولة، نوال مهنى، ص ٥٠، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، وديوان أهازيج الطفولة: ص ٦٠، والسيرة الذاتية للشاعرة ص ٤.

نقدية متأنية إلى إبداعها الأدبي الوافر، الضارب بسهم في عبق الأصالة والتراث؛ فالأديبة ذات لغة قوية أخاذة، سليمة البنية والتركيب، مستقيمة واضحة، عليها جلال الماضي، وفيها روح الحداثة والعصر.

وأفضل نتاجها الفني الذي يعطي الباحث تصورا عن كتاباتها النثرية مذكراتها: "أوراق شاعرة" الجزء الأول، فالكاتبة تناولت فيه موضوعات كثيرة، وقضايا نقدية متعددة، كما تناولت بعض الموضوعات الوجدانية التي تعبر عن بوحها بالعواطف والانفعالات وأسرار النفس، وموضوعات أخرى أدبية أظهرت فيها الكاتبة براعتها في الوصف والتصوير، وتعرضت كذلك لبعض الشخصيات التراثية مثل شخصية "خولة بنت الأزور"، ودافعت عن المرأة المبدعة في مقالات مثل: "المرأة والإبداع"، و"المرأة بين الإبداع والدائرة المغلقة".

ويجدر في هذا المقام الاقتراب قليلا من أسلوبها وعالمها الفكري وهي تناقش قضية علاقة المرأة بالإبداع الأدبي، حيث تعد من أهم القضايا التي شغلتها ونالت اهتمامها؛ ففي مقالها الأول: "المرأة والإبداع" تجعل المرأة عنصرا فاعلا في محاور ثلاثة للإبداع، وهي: الإلهام والتذوق والإبداع، فالمرأة إما ملهمة، أو متذوقة أو مبدعة[١]، وتمضي في بيان كل محور من هذه المحاور، فمثلا تقول في حديثها عن المرأة المبدعة: "ترى المرأة العربية في عصورها المختلفة قطعت شوطا كبيرا، بل كانت رائدة في هذا المجال؛ فالخنساء مثلا برعت في شعرها، بل لقد ناظرت الكثير من الشعراء المعاصرين لها، وتفوقت عليهم حتى شهد لها الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– بأنها أشعر أهل زمانها، ثم تتابعت الشاعرات والأديبات بعد ذلك حتى أصبحن علامة مميزة في أدبنا العربي، وأصبح للمرأة في عصرنا الحاضر حضور قوي في المنتديات الأدبية وعلى صفحات الجرائد والمجلات"[٢].

ولم تكن الكاتبة غافلة عن تقهقر المرأة وتراجع دورها عن دور الرجل في هذا الميدان، فناقشت هذه القضية بموضوعية، وطرحت لها عنوانا فرعيا يحمل السؤال الآتي: "لماذا تأخرت المرأة عن الرجل" ذكرت تحته أسبابا كثيرة لذلك، تتعلق بالظروف الاجتماعية أو الأسرية أو إلى طبيعة المرأة نفسها، ثم تقول تحت عنوان فرعي آخر: "المرأة والقيود": "لا أظن أن المرأة العربية تضيق بالقيود على إطلاقها، لأن الكثير من هذه القيود قد نما وتأصل فيها عبر مراحل تربيتها وتعليمها حتى أصبح جزءا أصيلا من تكوينها، وبالتالي أصبحت سلطة هذه القوانين المكتسبة تمثل التزاما خلقيا يشكل رقابة داخلية تتمثل في سلطة الضمير أو (الأنا الأعلى)، وهذ القيد اللاشعوري له دور كبير، وخاصة إذا كان نابعا من تعاليم الدين بما له من قدسية في النفس..."[٣]

---

(١) "أوراق شاعرة" نوال مهنى ١/ ٥.

(٢) أوراق شاعرة: ١/٩.

(٣) أوراق شاعرة: ١/ ١١.

وتعود إلى مناقشة هذه القضية مرة أخرى في مقالها: "المرأة بين الإبداع والدائرة المغلقة"، فتحتاط في طلب التحرر من القيود المفروضة على المرأة إذ تقول: "وهكذا تظل المرأة المبدعة تتحرك داخل الدائرة تنشد الحرية وتحلم بالفكاك من القيود التي تكبل خيالها في محاولة للانطلاق للعالم الرحب، ولكن حتى هذا الانطلاق محفوف بالمخاطر ما لم تتسلح المبدعة بالوعي والرزانة والتمسك بأهداب القيم العليا لا التقاليد البالية، وحينئذ بإمكانها أن تنطلق وتحلق في ثقة وأمان دون الخوف من السقوط"(١).

ولذلك فإن الكاتبة تعطي الحرية قدرها، وتعلم أن لها أطرا لا يمكن أن تُجتاز، وهذا ما قررته في مقال بعنوان: "حرية الإبداع المفترى عليها"(٢)، حيث أثارت فيه عدة أسئلة مثل: ما مدى استخدام هذه الحرية؟، وهل هي مطلقة أم مقيدة؟، مسئولة أم غير ذلك؟، ثم لفتت إلى أن المسئولية تكريم للمبدع في قولها: "المبدع إذن مسئول عما يكتب، وإعفاؤه من المسئولية يعتبر إهانة كبرى له؛ لأن القانون لا يعفي من المسئولية سوى السفهاء والمجانين"، وتردد هذا الرأي كذلك في مقالها: "هجمة شرسة على الأخلاق"(٣).

وقد طرقت "نوال مهنى" في هذا المنتج إضافة إلى ما سبق موضوعات نقدية كثيرة، مثل: "الشعر والموسيقى"، و"الرواية تتسلق على أكتاف الشعر"، و"لغة الشعر بين الفصحى والعامية"، و"الشعر شعر والنثر نثر"، و"غربة الشعراء"، و"الشعر وفوضى المؤتمرات"، و"قصيدة النثر وهبوط مستوى الشعر"، و"الشاعر والسوقة".

ومن أمثلة الكتابات الوجدانية في هذا الكتاب: "أبحث عنك"، و"حياتي بين الورقة والقلم"، و"همسات حائرة"، و"تأملات في صفحة العمر"؛ نجدها تحت العنوان الأول باحثة عن معشوقها، تفتش عنه في كل مكان، وتنتظره طويلا ولكنه لم يأت، تقول: "بعيدة عنك تتحير أفكاري في عوالم لانهائية، تبحث عنك، تفتش بين الحقول عن ينابيع حنانك، وزهور مودتك، تسبح، تغوص، تنقب عن أصداف قلبك ولآلئ كلماتك، ثم تجوب الأفق تصغي لقصف الرعد، وعصف الرياح، ووشوشات النسيم كي تميز صوتك الحالم... وهكذا ظلت أفكاري هائمة حائرة تبحث عنك، حتى أعياها البحث وأدركها النصب، وأضناها التعب، وعذبها الانتظار، فأعلنت العصيان والتمرد غضبا منك لا زهدا فيك، وأنت أيها الغائب الحاضر المولع بالنسيان والبعد، أيها البعيد القريب سلام عليك ذاكرا أو ناسيا"(٤)

(١) أوراق شاعرة: ١/ ٧٢.
(٢) أوراق شاعرة: ١/ ٧٦.
(٣) أوراق شاعرة: ١/ ٤٣.
(٤) أوراق شاعرة: ١/ ١٠٣، ١٠٤.

ونجد "نوال مهنى" في مقالها: "تأملات في صفحة العمر" تفضي بشيء غير قليل من التوجس والقلق لمرور الزمان وتفلت الأيام وسرعتها المفزعة التي لابد أن تترك أثرها على ملامح الإنسان ولاسيما المرأة، فتقول: "وهذا الإحساس الإنساني من خوف وتوجس ورعب من بصمات الزمن وتقلباته المفاجئة ينطبق على المرأة والرجل على السواء، ولكن يبدو أن إحساس المرأة بالزمن يكون أعمق أثرا؛ وذلك لأن تقدم العمر بها يؤثر على جمالها ونضارتها... ولذا تتألم المرأة كثيرا وينتابها الفزع حين ترى علاماتِ الشيب وقد بدأت في الظهور في شعرها، وخطوطَ الزمن وقد بدأت ترتسم على وجهها وقوامها، وتحاول المرأة جاهدة تأجيل كل هذا ما وسعتها الظروف وأسعفتها الإمكانيات، إنها تخشى من شحوب لونها وذبول زهرتها، غير أن محاولات المرأة المستميتة في الاحتفاظ بشبابها، وإن نجحت في تأجيل بصمات الزمن لبعض الوقت، فإن الزمن يتدخل وبشكل حاسم في الوقت المناسب ليدق بضرباته العنيفة جميع الأبواب، ويسحق بقبضته المخيفة بقايا الشباب، وحينئذ تظهر خطوطه واضحة جلية، ويستحيل إخفاؤها بأي وسيلة كانت"[١]

وتختم الكاتبة كلماتها في هذا المقال بالحديث عن الرضا والثقة بالله وأنهما فقط سبيل الخروج من هذه الحالة النفسية المأزومة، والطريق الوحيد للسلام مع النفس والعالم الخارجي.

والحقيقة أن الكاتبة في تناولها مثلَ هذه الموضوعات النسوية الخاصة تتحلى بالجرأة والشجاعة، وتتميز بالصراحة والوضوح؛ وتكتب في عفوية كبيرة معلنة عن همومها وهواجسها، ومفصحة عن عداوتها الضارية مع الزمن، ومنبئة عن خوفها من تقدم العمر؛ فهي تعبر عن نفسها أولا قبل أن تكون معبرة عن كل امرأة في هذا الوجود، وهو ما أفصحت عنه في مقدمة هذه المذكرات بقولها: "أعتقد أنها صادقة في التعبير عن أفكاري، وما يجيش بنفسي من اختلاجات وانفعالات حاملة في طياتها نبضات روحي في عفوية صريحة لا زيف فيها ولا تصنع"[٢].

ومن موضوعات هذا الكتاب التي اتخذتها الكاتبة عناصرَ ترتكز عليها في انطلاق تجربتها الإبداعية، وتدل أيضا على نزعتها الوطنية القوية نجد: "رحلة على صفحة النيل"، و"وقفة على بحيرة قارون"؛ فالكاتبة تعشق وطنها مصر ومعالمه الخالدة، فتتغنى بها كثيرا فيما تكتب من نثر وشعر، وهذه المعالم ملهمة وباعثة لها على الإبداع؛ تقول في: "وقفة على بحيرة قارون": "ذات صباح باسم مشرق بالأمل وقفت أتأمل سطح البحيرة الهادئ، وقد انعكست عليه أشعة الشمس فكسته بغلالة ذهبية يتراقص بريقها مع تتابع الموجات في خفة ورشاقة ووداعة متناهية. كان الموج يعزف سيمفونية حالمة تردد أصداءها جنبات المكان، فتتصاعد نغماتها الرائعة مع خفقات النسيم حتى تصل إلى عنان

(١) أوراق شاعرة: ١/ ١٣٤.

(٢) أوراق شاعرة: ١/ ٣.

السماء..."[١]، وتمضي الكاتبة في وصف الأجواء الساحرة وقت الأصيل وبعد أن حل الليل بظلامه على هذا النسق من الأسلوب الأدبي المتجاوب مع الطبيعة وعناصرها المختلفة.

وهي في مؤلفاتها الأخرى تحاول أن تقدم حقائق علمية ومعلومات تراثية وفيرة بأسلوب أدبي سهل، وطريقة قصصية جذابة، وهذا ما فعلته في سلسلتها عن رحَّالة العرب والمسلمين: "ابن بطوطة"، الذي قصت رحلاته المختلفة في ثمانية مؤلفات، ضمَّنت كل واحد منها رحلة له إلى بلد من بلاد العالم، وكذلك في : (حكاية جحا– حكاية الأقزام)، وفي: (حكاية نبع الحياة– حكاية الكتاب) الذي تضمن في الجانب الأول معلومات شيِّقة عن نهر النيل وأهميته في حياة المصريين منذ القدم، وفي الجانب الثاني قدمت الكاتبة معلوماتٍ عن نشأة الكتابة وتاريخها وأدواتها البسيطة في العصور الأولى، وعرضت لتطورها وارتقائها ونشأة الطباعة وظهور الكتب في العصر الحديث، كذلك فعلت في مؤلَّفها: (النحلة– العنكبوت)، وفي: (سفينة الصحراء– الحوت الأزرق)، ولأن هذه المؤلفات مفعمة بالحقائق العلمية والمعلومات التاريخية، فقد أصبحت ذات قيمة عالية، وإن بدا على بعضها من خلال العنوان السطحية والسذاجة، فلا يعرف قيمتها إلا القارئ الباحثُ عن المعرفة والمتعة الأدبية في آن.

ومن أعمالها النثرية التي تألقت في كتابتها: مسرحيتها النثرية القصيرة عن سلطان العلماء: (العز بن عبد السلام)[٢]، حينما ولاه السلطان نجم الدين أيوب القضاء في مصر، فأفتى ببيع المماليك كالرقيق بعدما اشتكى أهل مصر من استفحال أمرهم وفسادهم وسيطرتهم على المناصب المرموقة في البلاد، وما كان من خضوع السلطان لرأي الشيخ وفتواه في نهاية المطاف.

تخوض الكاتبة فيما تسطر ميادين عدة، وتتجول في أودية مختلفة من الكتابة تؤكد جرأة قلمها، وأصالة ثقافتها، وسَعة اطلاعها؛ فهي أديبة ناقدة، ومتأملة ذات نزعة وجدانية وعاطفة قوية، ووصَّافة تلهمها الطبيعة والأماكن الساحرة الحرفَ الرشيقَ والكلماتِ الآسرةَ، ومعلِّمة تستدعي الحقائق العلمية، وتستلهم القصص التاريخية الهادفة، تنزع منزعا إسلاميا ووطنيا واضحا في كل ما تكتب.

نوال مهنى شاعرة:

قدمت الباحثة: "شاهيناز أبو ضيف حسن الدرديري" رسالة دكتوراه بعنوان: (التواصل الشعري عند الشاعرة نوال مهنى)[٣]، وهي

---

(١) أوراق شاعرة: ١/ ٧٣.

(٢) سلطان العلماء والسلطان نجم الدين: مسرحية نثرية قصيرة، مجلة الأدب الإسلامي الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، العدد ١٠٠، المجلد الخامس والعشرون ديسمبر ٢٠١٨م.

(٣) كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر بأسيوط، وقد اقتصرت فيها الباحثة على

دراسة مستفيضة تستحقها الشاعرة لنِتاجها الشعري الغزير في دواوينها:(نبع الوِجدان)، و(أغاريد الربيع)، و(ذات مرة)، و(فيض الأشجان)، و(أنغام ثائرة)، وهي الدواوين التي تعبر عن تجربتها الشعرية بما تحفل به من قيم موضوعية وعناصرَ فنيةٍ تجاوبت فيها الشاعرة بقوة مع قضايا الوطن والأمة الإسلامية؛ فكانت ذات صوت وطني وإسلامي واضح متناغم مع الأحداث والظروف، معبر عن الانتصارات والانكسارات تعبيرا يستلهم الماضي بعزته وكبريائه، وينشد الحق والخير لبلاد العروبة والإسلام والوطن المصري العظيم، ويجعلها

وقد شغلت القضيةُ الفلسطينية خاطرَها كثيرا، وأقضت مضجعها طويلا، وذلك واضح من خلال اهتمامها بها في ديوانها: (فيض الأشجان)، في قصائدها: القدس لنا[١]، وصبرا آل فلسطين[٢]، وشهيد الحق[٣]، ولا تصالح[٤]، وطفلة عربية[٥]، ويا خير أمة[٦]، ولا سلام مع الصهاينة[٧]، وغيرها من القصائد الأخرى، كما تجاوبت مع قضايا الأمة العربية في مثل قصيدتها: بغداد[٨] وقصيدة: أخي العربي[٩]، وحرب الخليج[١٠] وتفاعلت مع قضايا الأمة الإسلامية في قصائد مثل: مأساة الشيشان[١١]، وأنباء من كوسوفا[١٢].، "وهكذا رأينا الشاعرة كسائر شعراء الأمة الأصلاء، تصوب قصائدها، وتوجه إبداعاتها للتفاعل مع قضايا وطنها وأمتها، أملا في استنهاضها من غفلتها، حتى تستأنف مسيرتها ورسالتها الحضارية المنوطة بها"[١٣].

ولها قصائد عديدة تدل على هيامها بمصر وأرضها وطبيعتها الساحرة، وخاصة نيلها الذي وقفت أمامه مشدوهة في كثير من القصائد؛ فلها في هذا الاتجاه: يا مصر[١٤]،والنيل في بلادي[١٥]، ومصر حبي[١٦]، ونشيد: فتاة مصر[١٧]، ووطني[١٨]، ونهر النيل[١٩].

تقول في قصيدتها: يا مصر:[٢٠] (الكامل)

الدواوين الشعرية الأساسية غير شعر الأطفال.

(١) ديوان فيض الأشجان ص ٧.

(٢) ديوان فيض الأشجان ص ٨.

(٣) ديوان فيض الأشجان ص ١١.

(٤) ديوان فيض الأشجان ص ١٢.

(٥) ديوان فيض الأشجان ص ١٤.

(٦) ديوان فيض الأشجان ص ١٩.

(٧) ديوان فيض الأشجان ص ٢٢.

(٨) ديوان فيض الأشجان ص ٢٣.

(٩) ديوان نبع الوجدان ص ٨٣.

(١٠) ديوان نبع الوجدان ص ١٠١.

(١١) ديوان فيض الأشجان ص ٦٢.

(١٢) ديوان فيض الأشجان ص ٦٤.

(١٣) نوال مهنى: شاعرة الوادي: من الذاتية إلى الفضاء الطلق، ص ٤٢، مجلة الأدب الإسلامي العدد ٦٩ المجلد ١٨، رابطة الأدب الإسلامي العالمية مارس ٢٠١١م.

(١٤) ديوان نبع الوجدان، نوال مهنى، ص ٣٣، دار الفكر العربي ١٩٩١م.

(١٥) ديوان نبع الوجدان ص ٤٧.

(١٦) ديوان نبع الوجدان ص ٥١.

(١٧) ديوان أغاريد الربيع ص ١٨.

(١٨) ديوان أغاريد الربيع ص ٥١.

(١٩) ديوان ذات مرة ص ٥٥.

(٢٠) ديوان نبع الوجدان ص ٣٣.

يا مصرُ دُومي في الممالك روضةً
سُقِيَتْ ربوعُكِ كوثراً أو نيلا
شهد الزمان عليك مجدا تالدا
وروى حديثَ المجدِ فيك طويلا
يا دوحةً نمَّى الإلهُ فروعَها
فيها الثمارُ وظُللت تظليلا
أرضَ الكنانة والسلامِ تحيةً
نحمي بك القرآن والإنجيلا

وفي مطلع قصيدتها: "نهر النيل"[١]، تقول: (الكامل)

نبع تدفّقَ كالرحيق الشافي
فروَى الحياةَ من النميرِ الصافي
ينسالُ بين شطوطه مترقرقا
ما بين ظل الدَّوْمِ[٢]والصفصافِ
حمَل النماءَ إلى الشمال مسافرا
يختال بين خمائلٍ وضفافِ
حتى تقول فيها عن مصر:
أهدت إلى الدنيا روائعَ علمها
في الفن والأخلاق والأعراف
وزهَتْ على النهر النبيل مدائنٌ
ومعاهدٌ ومعابدٌ ومرافي
صارت مثالا للممالك يُحتذى
ومنارةَ العلم الجليل الوافي
فاضت على الغبراء من حسناتها
فكأنها فيضُ السماء الشافي

ثم تشخص النهر وتبث له شكواها المريرة من أياد آثمة تكدر ماءه وتلوث صفاءه، فتقول:

يا نيلُ كيف اليوم هان عطاؤكم
حتى كَفَرنا بالنعيم الضافي
وتكدَّر الماءُ الطهور فدأبنا
نُلقي إليك براسبٍ أو طافي
ناحَتْ مياهُكَ من مظالمِ بعضنا
مكلومةَ الأقدام والأكتافِ
تشكو وتعتِبُ للزمان هوانها
تلتاعُ من ظلمٍ ومِن إجْحافِ
ما بالُنا لم نسعَ في إنصافِكم
لم نرعَ فيك وصيةَ الأسلافِ
ملَّ الزمانُ فهل مَلِلْتَ جحودَنا؟
يرعاكَ ربٌّ واسعُ الألطافِ

والشاعرة عاشقة ريف مصر، مفتونة بجمال الطبيعة فيه؛ فكم عزفت على قيثارتها كثيرا من الألحان التي أشادت فيها بهذه الطبيعة المصرية الخاصة، كما في: من وحي الفيوم[٣]، ووصف حديقة[٤]، وتأمل في الطبيعة[١]، ووشوشات البحر[٢] وغيرها.

---

(١) ديوان أغاريد الربيع ص ٥٥.

(٢) الدَّوْمُ شجر معروف ثَمَرُهُ المُقْلُ، وفي الحديث: "رأَيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظل دَوْمة" قال ابن الأثير: هي وحادة الدَّوْمِ، وهو ضِخام الشجر. لسان العرب لابن منظور، مادة: (دوم)، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

(٣) ديوان نبع الوجدان ص ٤٠.

(٤) ديوان نبع الوجدان ص ٤٦.

نجدها في قصيدة: وشوشات البحر على الشاطئ في الإسكندرية تقول بلغة رومانسية هامسة:[٣] (مجزوء الرمل)

وشْوشَ البحرُ حفيّا
حين أصغيتُ إليهِ
وبدا سمعي رهيفاً
ماثلا بين يديهِ
وصحا قلبي المُعنَّى
يسكُبُ النجوى عليهِ

ويبوح لها البحر بأسراره فيقول:

فوق سطحي ليس يطفو
غيرُ وهْمٍ أو خداعْ
كلُّ ما أُلْقِيهِ زيفٌ
لا أُبالي أن يُذاعْ
أَحْتَوِي الدُّرَّ بجوفي
لافِظاً سقْطَ المتاعْ
كمْ هنا أصغَى إليَّ
قلبُ بحَّارٍ وشاعرْ
فسرى همسي إليه
وحديثُ الهمسِ آسِرْ
ذو شجونٍ ومعانٍ
فِعْلُها في النفسِ ساحرْ

فتعزف في هذه القصيدة وأمثالها على قيثارة الرومانسيين من شعراء المهجر المولعين بالطبيعة.

ولها قصائد كثيرة تدل دلالة واضحة على توجهها الإسلامي، وعلى تمسكها بالثوابت وحفاظها على القيم، مثل: دعاء[٤]، ويارب[٥]، وعفوك يارب[٦]، وفرحة الصوم[٧]، وفرحة العيد[٨]، والنفس اللوامة[٩]، ودعوة للجهاد[١٠]، وخواطر إسلامية[١١]، وشكوى إلى سيدي رسول الله[١٢]، وليلة الإسراء[١٣]، ورب الحجيج[١٤]، ورمضان هلَّ[١٥].

تتتبعُ الشاعرة في قصيدتها: "خواطر إسلامية" المسيرةَ المحمدية منذ الجاهلية حتى إتمام الرسالة، ثم تمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) [١٦]، وذلك في أربعين بيتا تقول في مطلعها: (الكامل)

طالتْ نيوب الكفر والإلحاد
والظلم سيفٌ دانَ للأوغادِ

وتختمها بقولها مخاطبة سيد الورى:

(١) ديوان نبع الوجدان ص ٦٥.
(٢) ديوان فيض الأشجان ص ٣٤.
(٣) ديوان فيض الأشجان ص ٣٤.
(٤) ديوان نبع الوجدان ص ٨٧.
(٥) ديوان نبع الوجدان ص ٨٩.
(٦) ديوان نبع الوجدان ص ٩١.
(٧) ديوان نبع الوجدان ص ٩٢.
(٨) ديوان نبع الوجدان ص ٩٣.
(٩) ديوان نبع الوجدان ص ٩٤.
(١٠) ديوان أغاريد الربيع ص ٨٠.
(١١) ديوان أغاريد الربيع ص ٨١.
(١٢) ديوان ذات مرة ص ٢١.
(١٣) ديوان ذات مرة ص ٨٤.
(١٤) ديوان ذات مرة ص ٨٦.
(١٥) ديوان ذات مرة ص ٨٩.
(١٦) ديوان أغاريد الربيع ص ٨١.

أرسيتَ للخُلق القويم دعائما
ظلت طريقَ الخير والإسعادِ
فإذا بها والليل مدَّ سدولَه
قبَسٌ أضاءَ حواضراً وبوادي
هَبْنَا رسولَ الله منك شفاعةً
فيها ملاذُ النفس يوم مَعادِ
إني بمدحك قد رُقِيتُ إلى الذرى
وسَمَوْتُ بالتغريدِ والإنشادِ
وملأتُ روحي من عبيرِ نبوة
فسكنتُ نفساً واطمأنّ فؤادي

وفي: "شكوى إلى سيدي رسول الله" تلهج بالشكوى، وهي حزينة متألمة لما يحدث من تفرق وتقاطع وقتل بين المسلمين: [1] (الكامل)

يا سيدي يا ذا المكارم والندى
أثنى عليك الله خيرَ ثناء
يا أُسوةً للعالمين ورحمةً
إني إليك أبث شجوَ ندائي
ما عاد يجدي والمصائبُ حولنا
إلا اللجوءُ لقمةٍ علياءِ
ما زلتَ غوْثا مُذْ بُعثتَ مبشرا
فكنِ الوسيلةَ كي يُجابَ دعائي
أدركْ بجاهك مسلمين شعارُهم
ما غيرُ ربي كاشفَ الضراءِ
يا سيّدي أُزجي إليك شَكايتي
من إخوتي في الدين لا أعدائي
قتلوا التآلفَ والتراحم بيننا
حتى استحال لفرقةٍ وشقاءِ
بات التفرق دأبَنا وشعارَنا
لنهيم في تيهٍ من الأهواءِ

وللشاعرة في غرض الغزل قصائد كثيرة، أفضت فيها بما في قلبها من حب عذري صاف لم تكدره مغامرات العاشقين وأهواؤهم الطامحة، ونزواتهم الجامحة؛ فجاء غزلها بريئا صادق الحس، هادئ اللغة؛ كما نرى في قصائد مثل: إنه قال لي[2]، أراك[3]، وإليك[4] ، وفارس أحلامي[5] وغيرها، تقول في قصيدتها أراك: (مجزوء الوافر)

أراك فيورق الشجرُ
ويُندي قربَك الزهرُ
وينبتُ في الثرى عشبٌ
ويَهْمِي فوقه المطرُ
ويكسو الكونَ إشراق
فكلُّ رياضِه خُضْرُ
أراك تنير لي أفقي
فيحدو نورَك البدرُ
ففي عينيك أفراحي
إذا ما جئت تزدهرُ

والشاعرة ذات نفس شفافة متفائلة، تنشد كل جميل لهذا العالم، ومن ثم فالحب عندها شيء

(١) ديوان ذات مرة ص ٢١.

(٢) ديوان ذات مرة ص ٦١.
(٣) ديوان ذات مرة ص ٧٧.
(٤) ديوان أغاريد الربيع ص ٣٢.
(٥) ديوان نبع الوجدان ص ٥٢.

مقدس، وأنفاس تحيا بها، لا تتوانى عن التحليق في فضائه الرحب أملا في أن يعم الكون بأسره، تقول في قصيدتها: " للحب عوالم أعرفها"[١]: (المتدارك)

لو ضاع الحب فعالمنا
أشلاءٌ بين الأكفانِ
لو مات الحب فأشعاري
أشواك بين الأبدانِ
فالحب عوالم أعرفها
تشفي أدواء الإنسانِ

وتسير على طريقة شعراء المهجر الذين رسخوا في أشعارهم مفاهيم إنسانية عامة، دندنوا حولها كثيرا، وعبروا عنها تعبيرا عاطفيا صادقا، حتى أشبهتهم في أفكار بعض القصائد؛ فلها قصيدة بعنوان: "إلى أخي"، متأثرة فيها بشاعر المهجر الكبير: "إيليا أبي ماضي" في قصيدته: (أنا)، التي مطلعها:[٢] (الكامل)

حر ومذهب كل حر مذهبي
ما كنت بالغاوي ولا المتعصب

تقول: "توال مهنى" في مطلع قصيدتها:[٣] (الطويل)

أخي أنتَ من نفسي وروحي كتوأمي
ونبضُك يسري في الوريد بمعصمي بمعصمي
وفي مهجتي فيض يموج بخاطري
وما زال يحيا في خيالي وفي دمي
فنحن كروح نصفها أنتَ أو أنا
كلانا مثيلٌ في الطِّباع وفي الدمِ

وللشاعرة قصائد في رثاء الشعراء والأدباء السابقين وتأبينهم، تأتي كأنها اعتراف منها بفضل هؤلاء الأدباء عليها في تكوينها الثقافي والفكري والأدبي، ودلالة على تأثرها بهم في لغتها وإبداعها، مثل قصائدها: إلى طه حسين[٤]، وشاعر الشباب[٥]، وهي في ذكرى الشاعر أحمد رامي، وشاعر الريف[٦] في ذكرى الشاعر الكبير "محمود حسن إسماعيل"، وشوقيات[٧]، في ذكرى أمير الشعراء "أحمد شوقي، وفخر النساء[٨]، في رثاء د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وشاعر الإسلام[٩]، في ذكرى الشاعر "محمد إقبال".

وقد بدت الشاعرة في بعض قصائدها كلاسيكية المنزع، متأثرة بشعر السابقين من مدرسة المحافظين أمثال شوقي وحافظ والرصافي وغيرهم، في صوتها الجهير، وموسيقاها الرنانة، وجاءت في أخرى رومانسية حالمة، رقيقة اللغة والشعور متأثرة بالشعراء الرومانسيين في صدق المعاني والأحاسيس، وسهولة اللغة، وبساطة التعبير.

---

(١) ديوان ذات مرة ص ٣٥.
(٢) ديوان إيليا أبي ماضي: ١/١٤٥، دار العودة- بيروت ١٩٩٦م.
(٣) ديوان أغاريد الربيع ص ٢٩.
(٤) ديوان ذات مرة ص ٢٥.
(٥) ديوان ذات مرة ص ٨٠.
(٦) ديوان أغاريد الربيع ص ٣٤.
(٧) ديوان نبع الوجدان ص ٥٦.
(٨) ديوان فيض الأشجان ص ٧٤، ومجلة الأدب الإسلامي: ص ٥١، العدد ٣١، المجلد الثامن ٢٠٠٢م.
(٩) ديوان فيض الأشجان ص ٧٦.

المقصود بشعر الأطفال وأهميته:

شعر الأطفال مصطلح أخصُّ من أدب الأطفال، يشبهه في تركيب كل منهما من كلمتين متضايفتين، لكنها ليست من إضافة المصدر إلى فاعله، فليس المقصود بشعر الأطفال ما يكتبه الأطفال من شعر، أو ما يكتبه الشعراء عن الأطفال، وإنما ما يُكتب للأطفال، أو ما يكتبه الشعراء والمبدعون من قصائدَ وأراجيزَ، موجهةٍ للأطفال، تقصدهم وتتغيا تشكيل وعيهم، وتكوين فكرهم، أو تنمية خيالهم وتسليتهم وترفيههم.. وينبغي أن يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية للطفل(١).

والكتابة للأطفال نشاط إنساني يتسم بالتعقيد أكثر من الكتابة للكبار؛ إذ إننا إزاء فئة لها خصوصيتها وحاجاتها ورغباتها الخاصة، ومن ثم يفترض أن يكون لما يكتب للأطفال أهداف محددة ينبغي السعي من أجل الوصول إليها، وقواعد مضبوطة تجب مراعاتها عند الكتابة، وهي ما يسمى بقواعد " الانقرائية"، أي جملة العوامل والشروط التي تسهل عملية القراءة والاستيعاب للمقروء(٢)

ولا يخفى أن الكتابة للأطفال أمر ضروري لا يمكن تجاهل أهميتها في تيسير عملية التسلق المعرفي للطفل؛ فكما ينمو الطفل تدريجيا، وتتطور كل أساليب حياته، وتزداد تعقيدا يوما بعد يوم؛ فإن خياله كذلك ينمو تدريجيا، حيث يولد بإمكانات فطرية، واستعدادات طبيعية، تحتاج إلى الرعاية والتطوير المستمر، الذي يراعي إمداده بالمعارف والعلوم الأولية، ويراعي حسه وشعوره وتذوقه.. فإن لأدب الطفل وظيفتين: الوظيفة التعليمية، والوظيفة التذوقية(٣).

وترجع أهمية هذا المجال الأدبي إلى ضرورة تربية الأطفال تربية عقلية ونفسية متوازنة؛ لأنهم شباب المستقبل الذين يتشكَّل منهم المجتمع، فكما تحرص كل أسرة على سلامة البنية الجسدية للطفل؛ ينبغي أن تحرص حرصا أشد على سلامة بنيته العقلية، ولن يكون ذلك إلا بالقراءة التي تعد المصدر الأهم للمعرفة وتنمية المهارات والقدرات الخاصة للطفل، وخاصة كتب الأدب والشعر، لما للأدب من ميزة الإمتاع والتسلية، التي تجعله قريبا من النفس، فيتعلم الطفل بطريقة غير مباشرة، ويُحصل المعرفة دون جهد، ويجني مما يقرأ ثمارا عظيمة لها خطرها في تكوينه ونشأته.

ومرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان؛ حيث تعد مرحلة تشكيل وبناء

---

(١) أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، د/ أحمد زلط، ص ١٦، دار النشر للجامعات المصرية- مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٢) أدب الطفل: مفاهيم وأهداف، ميلود شنوفي، العدد الثامن عشر: ٦١، دراسات أدبية مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ٢٠١٥م.

(٣) المرجع في أدب الطفل، محمود حسن إسماعيل، ص ٥١، دار الفكر العربي ٢٠٠٤م.

للشخصية، وهي من أعقد المراحل وأصعبها، ولا سيما مع زيادة أعباء تربية الأطفال وهموم تقويمهم، في ظل الانفتاح الحضاري الذي يشهده العصر الحديث، وما يصحبه من آفات، "إن الاستعدادات الممكنة التي تأتي مع الطفل لا تصبح واقعةً إلا بعد تشربه الجزئي للثقافة التي ولد فيها، فهي توفر للطفل ما يؤمل أن يكون عليه، فالطفل في بداية حياته يتقبل الثقافة التي ينشأ فيها مثل تقبله للهواء والماء"[١]، فكان توجه الشعراء في هذا العصر نابعا من إدراكهم أهمية هذه المرحلة و إحساسهم بخطورة الأمر، وكان أمير الشعراء "أحمد شوقي" من أوائل الشعراء الذين كتبوا شعرا للأطفال[٢]، وقد اختلف النقاد في قضية ريادة أدب الأطفال، وقد جاء في دراسة الدكتور/ أحمد زلط التي عنوانها: "أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال[٣]" قوله: "وديوانه[٤]: العيون اليواقظ، هو –فيما نزعم– أول محاولة عربية تعبد الطريق أمام الكتاب لإرساء دعائم أدب الطفولة، وهي محاولة تسبق محاولة أحمد شوقي بسنوات طويلة، ولقد ارتكزت الريادة الزمنية لمحمد عثمان جلال في التوفر على الترجمة والاقتباس من اللغة الفرنسية بإعادة نقل حكايات لافونتين الخرافية إلى اللغة العربية بديوانه الموسوم: العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ"[٥]، ولهذه القضية أبعاد أخرى، وفيها جدل كثير، وآراء متعددة طرحه "أحمد فضل شبلول" في بحثه: " أدب الأطفال في الوطن العربي: قضايا وآراء[٦]، ومن المسلم به أن العصر الحديث قد شهد قفزة كبيرة في الاهتمام بأدب الأطفال، ولذلك فقد توالى الإبداع الشعري والقصصي للأطفال، وظهرت

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دكتور زكريا الشربينى– دكتورة يسرية صادق ص ٦٧، دار الفكر العربي ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) الشوقيات لأمير الشعراء: أحمد شوقي ٩٠٣/٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م، وقد جاء في بدايته: "مجموعة من الشعر السهل، نظمها لتكون للأطفال أدبا وثقافة".

(٣) محمد بن عثمان بن يوسف الحسيني نسبا، الجلالي لقبا، الونائي بلدا، من واضعي أساس (القصة) الحديثة والرواية المسرحية في مصر، ولد في (ونا القس) من أعمال بني سويف سنة ١٢٤٥هـ= ١٨٢٩م، وتعلم بمدرسة الألسن بالقاهرة، وتنقل في أعمال الترجمة والكتابة في بعض الوزارات، وآخر ما وليه منصب قاض (بمحكمة الاستئناف) بالقاهرة، وتوفي بها سنة ١٣١٦هـ= ١٨٩٨م، وكان من ظرفاء عصره، تروى عنه لطائف. الأعلام للزركلي: ٢٦٢/٦ دار العلم للملاين– بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

(٤) يقصد: محمد عثمان جلال.

(٥) أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، د/ أحمد زلط ص ١٩ و٢٠.

(٦) ينظر: أدب الأطفال في الوطن العربي: قضايا وآراء، أحمد فضل شبلول ص ١٤، دار الوفاء– الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، تحت عنوان: جدل أدبي حول ريادة شعر الأطفال.

فيه أسماء كبيرة مثل: محمد الهراوي، وكامل كيلاني، ومحمد سعيد العريان وغيرهم[١]

ولشاعرة الوادي "نوال مهنى" ثلاثة دواوين مطبوعة تمثل نِتاجها من شعر الأطفال، وهي: (أغاني الطفولة)، و(أناشيد الطفولة)، و(أهازيج الطفولة)، ولها أيضا ديوان: (لعبة الحروف)، وهو أشعار تعليمية للأطفال، لا يزال تحت الطبع.

والشاعرة تعيش تجربة الأمومة، وهي لا شك تجربة مهمة في تهيئة البيئة المناسبة لكتابة شعر الأطفال، وخلق الأجواء العاطفية التي تتطلبها عملية الإبداع الشعري، كتبت إلى ابنتها: "منال" في عيد ميلادها[٢] قصيدة مطلعها: (الكامل)

أمنالُ يا روضَ الربيع الذاكي

إن السعادة والهنا رؤياك

كما كتبت إلى ابنها: "مدحت" حينما كان طفلا[٣] قصيدة مطلعها: (المديد)

يا شبيه البدر في الخَلْق قل لي:

أي سر فيك قد حار عقلي؟!

فالطفل إذاً عنصر من العناصر الرئيسة في حياتها، بل هو جزء من روحها ودمها، فليس غريبا عليها عنايتها بالطفل في نتاجها الشعري الكبير الذي قدمته لأجله.

المحور الأول: القيم التربوية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى":

يحتاج الطفل في هذا العصر إلى الاحتواء والتوجيه بكل ألوانه ووسائله، للحفاظ عليه من الانزلاق حتى لا يكون عنصر هدم في مجتمعه، يعبث بقيمه وأخلاقه، وهذا دور يقع على المبدعين منه نصيب كبير، لأنه مهما تعالت الأصوات العالمية بضرورة تعزيز حقوق الطفل وحمايته من العنف والاستغلال، كما هو الهدف الذي أنشئت لأجله منظمة مثل: (اليونيسيف)[٤]، فإنه يبقى رهن الإطار البيئي والمجتمعي الذي يعيش فيه؛ فهو المسئول عن حراسة أطفاله من كل الأخطار المحدقة به، سواء أكانت معنوية أم مادية، بدءا من أسرته التي ينبغي أن تكون السياج الأول له، ثم المؤسسات العلمية والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل مع أفراده.

والتربية كما في "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية": "هي نظام اجتماعي يحدد الأثر الفعال للأسرة في تنمية النشء من النواحي

---

(١) المدخل إلى أدب الطفل د/ لطفي أحمد بابكر، ود/ فوزي محمود خضر ص ٦٠، مكتبة الملك فهد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢) ديوان نبع الوجدان ص ٤٨.

(٣) ديوان نبع الوجدان ص ٦٤.

(٤) برنامج خاص للأمم المتحدة لدعم الجهود الوطنية، وتقديم خدمة اجتماعية منظمة لتحسين أوضاع الأطفال في العالم، صحيا واجتماعيا وتعليميا. ينظر: دور منظمة اليونيسيف في تمويل التعليم الأساسي (ولاية شمال دارفور)، إخلاص محمود عفيفي، ص ٥٣، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية التربية ٢٠٠٧م.

الجسمية والعقلية والأخلاقية حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية في البيئة التي يعيش فيها.

والتربية أوسع مدى من التعليم، الذي يمثل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم، ليرقى بمستواه في المعرفة في دور العلم، فالتربية إذن هي عملية عامة لتكييف الفرد ليتمشى ويتلاءم مع تيار الحضارة الذي يعيش فيه، وبهذا تصبح التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لتنشئة الأفراد ليسايروا المستوى الحضاري العام"[١].

ولا شك أن الوسط الاجتماعي المفعم بالحيوية والنشاط العلمي والثقافي له أثره البين في أطفاله، وتشكيل شخصياتهم، والشعر الذي ينشد لأجلهم، ويقدم لهم عن طريق الأبوين أو المدرسة أو المكتبات أو النوادي الثقافية أو أي وسط آخر، فيحترم أذواقهم وعقولهم، يكون عاملا مهما من عوامل الارتقاء بهم، ويساعدهم على إدراك العالم من حولهم، ويفسح المجال أمامهم لتصور الواقع، وإدراك الحقائق والتغلغل في أعماق الأشياء، وما وراء الواقع بالخيال الواسع المحلق.. بل إن أغاني المهد التي كانت تلقيها الأم على مسامع طفلها حتى يهدأ، لها أثر فاعل في هذا الاتجاه؛ تفجر فيه الطاقات الكامنة، وتحيطه بالجمال الذي يستشعره في دفء الأم ودفء الحياة من حوله[٢].

وإذا كان البلاغيون يقولون: إن إخبار خالي الذهن ينبغي أن يكون في جمل غير مشتملة على أي نوع من أنواع المؤكدات؛ لأنه لن ينكرها، بل يتقبلها ويستجيب لها بسهولة، فإن كلامهم هذا يصلح إسقاطه على الطفل؛ ليدلنا على أن الطفل مستقبل جيد لما يلقى على مسامعه، لأنه خالي الذهن، لا يزال غضا طريا يمكن تشكيله على أي وجه، وهو ما يعكس أهمية الأدب والفن وخطورتهما في حياة الطفل، والشعر في مقدمة الأنواع الأدبية التي تؤثر في الناشئة لإيقاعه وأنغامه التي تشنف آذانهم، وتستميل قلوبهم، وإذا تساءل النقاد كثيرا عن وظيفة الشعر: هل هي جمالية أم تربوية، فإنهم لم ينكروا دوره في الإصلاح والتهذيب والأخذ بيد طلاب الفضيلة إلى مبتغاهم وغايتهم، ولذلك يرى "العلوي": أن الشعراء يحُضّونَ على الأفعالِ الجميلةِ، وينهوْنَ عن الخلائِقِ الذميمةِ، وأنهم سَنّوا سبيلَ المكارِمِ لطُلاّبِها ودلّوا بُغاةَ المحامِدِ على أبوابِها[٣]، وهو عند غيره من النقاد السابقين ديوان العرب، مما يعني أنه سجل حافل بعلومهم ومعارفهم، وفيه تقييد لمآثرهم ومناقبهم، ولم ينكر النقاد المحدثون هذه الغاية أيضا.

وقد أدركت "نوال مهنى" هذه القضية، فآلت على نفسها أن تصرف جل موهبتها الشعرية إلى الطفل، فأسهمت في هذا المجال

---

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي ص ١٢٧، مكتبة لبنان- بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) ينظر: الطفل والفن، صفاء الأعسر، مجلة خطوة، العدد ١٦ ص ١٣، المجلس العربي للطفولة والتنمية ٢٠٠٢م.

(٣) نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي، ص ٣٥٨، تحقيق د/ نهي عارف الحسن، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

إسهاما وافرا، وكثفت فيه طاقتها الإبداعية على مستوى الرؤية والجمال الفني، وهي امرأة مصرية أصيلة، نشأت نشأة ريفية، في بيئة محافظة أمدتها بالقيم والمبادئ التي تشكل منها وعيُها الأخلاقي، وحسها الوجداني، فتمتعت بروح طيبة مرهفة، ونفس هادئة شفافة، لا تعرف الكره أو التعصب أو الغلو، بل الانضباط والاتزان الأخلاقي، الذي بدا جليا في قلمها وفكرها، ونم عن رؤية ورسالة كرست حياتها لأجلها، حتى استرعى ذلك الجانبُ الأخلاقيُّ اهتمامَ النقاد والشعراء الذين قرأوا لها، ومنهم الشاعر "يس الفيل" الذي قال عنها: "إن مسلك الشاعرة نوال مهنى الذي ارتضته لنفسها منذ ديوانها الأول: (نبع الوجدان)، والذي ازداد استقامة حتى أشرف على الكمال في ديوانها الأخير: (ذات مرة)، حيث الالتزامُ بضوابط الفن الشعري وقواعده الراسخة من حيث اللغةُ وسلامة التعبير، والارتقاء بالمشاعر والأحاسيس، وترسيخ القيم الدينية والأخلاق النبيلة من خلال تعبير وجداني صادق، ونهج إسلامي قويم.

وأحسب أن الشعر الأصيل الضارب بجذوره في التربية العربية سوف يبقى شامخا بالكتيبة المؤمنة التي تؤكد وجوده بعطائها الناصع، وإن تآمرت عليه جيوش الظلام.

وأحسب أن هذا بعينه ما تتوخاه شاعرتنا الأصيلة: نوال مهنى، حين تعض بالنواجذ على قيمها وأصالتها في استماتة، وكأنها تقبض على الجمر"[1].

ودراسة القيم التربوية في شعر الأطفال عند شاعرتنا سوف تأخذ عدة اتجاهات، يتناول كل منها نوعا تربويا من هذه القيم، حيث حاولت الشاعرة رفد الطفل المصري والعربي بقيم أصيلة في كل اتجاه، وهذه الأنواع هي:

- **القيم الدينية والروحية.**
- **القيم الأخلاقية والمعرفية.**
- **القيم الاجتماعية والآداب العامة.**
- **القيم الوطنية وتعزيز الانتماء.**

المبحث الأول: القيم الدينية والروحية:

التربية الدينية الصحيحة والأخلاق الفاضلة ينشآن عن العلم والمعرفة الحقيقية لبواطن الأمور، وعن العقل المتزن المستقيم والتنشئة السوية؛ فلابد من تدعيم البناء الروحي للطفل، وغرس القيم الدينية في نفوس الأطفال، وتعريفهم بالله- سبحانه وتعالى- وترسيخ الإيمان به وبالملائكة والكتب والأنبياء واليوم الآخر والقضاء والقدر، وغير ذلك مما يقوي إيمانهم، ويعزز العقيدة في قلوبهم، ويدعم البناء الروحي المتوازن عندهم.. فالأطفال في أول كلامهم يسألون أسئلة دينية كثيرة، لأنهم مولودون على الفطرة، وتحتاج أسئلتهم إلى إجابات صحيحة ودقيقة[2].

---

(١) ديوان فيض الأشجان ص ٩٤ و٩٥.

(٢) أسئلة الأطفال الدينية والإجابة عنها، أحمد حسن الخميسي، ص ٢٦، الوعي الإسلامي، العدد

والشعر الديني الهادف الذي يجمع بين الفكرة السامية والمتعة الفنية نجد منه نماذج كثيرة في دواوين الأطفال عند "نوال مهنى"، تحاول الشاعرة من خلالها بناء عقيدة الأطفال، وتوجيههم إلى معرفة الخالق- عز وجل- ودعوتهم إلى التأمل في الكون والطبيعة المتحركة والصامتة التي تدل على وجود الله وقدرته.

الإيمان بالله:

الإيمان بالله وحده هو أساس استقامة الفرد، ولذلك كان تأكيده وترسيخه هدفا رئيسا من الأهداف التربوية في شعر الأطفال عند شاعرتنا؛ نجدها تقدس الله في نشيد بعنوان: "سبحانه الخالق"[١]، فتقول: (مشطور الكامل)

سبحانه الخالقْ الواهبُ الرازقْ
الله ذو الكرمِ المانحُ النِّعمِ
كم فاضَ بالإحسانِ والخيرِ للإنسانِ
أَهْدَى له المطرا والشمسَ والقمرا
والريحَ إذ تجري والفلكَ في البحر
ودعاه للعملِ بالجدِّ لا الكسلِ
كي يُعمِلَ الفكرَ والسمعَ والبصرا
ويسبح الخالق الواهبَ الرازقْ

سبحـــــانه الخـــــالـق

تـدعو إلـى الإيمـان بـالله الـذي بيـده كـل شـيء؛ فهـو الواهـب الـرازق، الكـريم المـنعم، المتفضـل علـى الإنسـان بكـل خيـر، والـذي سـخر لـه كـل شـيء فـي الكـون، مـن مطـر وشـمس وقمـر وريـاح وفلـك، ثـم تؤصـل لقيمـة العمـل بجـد واجتهـاد فـي هـذا الكـون الـدائب المتحـرك بقـدرة الله، وتـدعو إلـى التفكيـر فـي الكـــون وإعمـــال الحـــواس الـــذي يضـــمن الهداية، ويعصم من الزلل.

وتدعو الله وتناجيه في نشيد بعنوان: "يا إلهي"[٢] قائلة: (مجزوء الرمل)

يا إلهي، يا إلهي
يا معينا للأنامِ
اجعل الحب شعاري
وطريقي للسلامِ
اهدني في القلب نورا
فُكَّ أغلالَ الظلامِ
رب واحفظ لي بلادي
واجعل الحقَّ إمامي
ثم يسرْ لي مجالا
فيه خيرٌ في الدوام
أعطني علما وفيرا
يفتحُ الكونَ أمامي
فأرى الأحياء دوما
في سُمُوٍّ واحترامِ

يـا إلـــهي، يـا إلـــهي

إن الله الذي يعين ويمنح الخير، جدير بأن نطلب منه كل ما نريد صغيرا كان أو كبيرا، معنويا أو ماديا، خاصا أو عاما، والطفل حين يطلب من ربه أن يحفظ بلاده، يبدأ شعوره الوطني في النماء، ويكبر في داخله الإحساس بقيمة الوطن، وتتعمق الرؤية بداخله، وكذلك

٥٢٨، المجلد ٤٦، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ٢٠٠٩م.

(١) ديوان أناشيد الطفولة ص ٥.

(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ١١.

حينما يدعو لنفسه بالعلم، فإنه يدرك قيمته وأهميته في حياته، لذا كانت الشاعرة دقيقة في اختيار المعاني التي تعزز عقيدة الطفل المسلم، وترفع من مستويات الإدراك والوعي لديه.

ولها أيضا نشيد بعنوان: "إله الكون"[١] تقول فيه: (مجزوء الوافر)

إله الكون يحرسنا إله الكون يرعانا
يُفيضُ عليك إنعاما من الخيراتِ ألوانا
فنورُ الشمس لولاه غذاءُ الحي ما كانا
وضوءُ البدر قد أمسى أمام العين فتّانا
وذاك النجمُ في فَلَك عليه نُقيم حُسبانا
وهذا الروض مِعطارٌ يُرى بالزهر مُزدانا
وتلك زروعنا الخضرا تُريك الأرضَ بستانا
جميع الطير شادية بسحر الروض ألحانا

وفي هذه الأشعار وأمثالها ما يؤكد حرص الشاعرة على عقيدة الطفل المسلم، التي كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، حريصا على اكتمالها وصحتها في قلوب الغلمان، كما في حديثه مع "ابن عباس" –رضي الله عنهما– الذي يقول فيه: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجَفت الصحف"[٢]

النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وشعائر الإسلام:

تبدأ علاقة الأطفال بالقصص مع قصص سيرة النبي الكريم وأخباره، وسرد مواقفه العظيمة عليهم؛ ففيها تتجلى الأخلاق والفضائل والعظمة في أسمى معانيها، ومن ثم فإن الطفل في بواكيره يكون في أمس الحاجة لمعرفة هذه السيرة ومطالعتها؛ فهي المعين الثر للتربية والتهذيب، ومعرفة النبي –قبل ذلك– ضرورة إيمانية لازمة، ولهذا فقد جادت شاعرة الوادي بعدد من قصائد المديح النبوي التي تَهدي الأطفال إلى معرفة هذا النور الإلهي، من هذه القصائد: "رسول السلام" ومنها قولها:[٣] (المتقارب)

رسولُ السلامِ على بابهِ
وقفنا بشوق إلى قربهِ
دعانا فلبَّى الفؤادُ وجئنا
سريعا نسير على دربهِ
نبيُّ الهداية، خيرُ البرايا
رؤوفٌ رحيم، ومعْ شعبهِ
ويومَ الحساب وحين الجزاء
شفيعُ الأنام لدى ربه

---

(١) ديوان أناشيد الطفولة ص ٣٣.

(٢) الجامع الصحيح: سنن الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي): ٦٦٧/٤، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي– بيروت (د.ت).

(٣) ديوان أهازيج الطفولة ص ٢٥.

وفي "نشيد المدينة المنورة" [١] تقول: (مجزوء الوافر)

ديارُ البرّ والحقّ وأرضُ الخيرِ والصدقِ
مدينتُنا لَكَمْ شرُفتْ بهجرةِ سيد الخلقِ
نبيُّ الرحمةِ الكبرى كريمُ الأصل والعِرقِ
رسولُ الله يرشدنا إلى الإحسان والرفقِ

وفي ذكرى المولد النبوي الشريف، تكتب للأطفال كذلك طرفا من سيرته وأخلاقه، فتقول:[٢] (مشطور البسيط)

ميلادك النادي يا سيد الخلقِ
قد جاء للدنيا بالنورِ والحقِ
يا خيرَ مولودٍ في الغرب والشرقِ
والقُدوةُ المثلى في الفعل والنطقِ
أخلاقكم نهجٌ للبر والصدقِ
إذ تُكرم القربى تحنو على الرقّ
في الحق لا تعبأْ بالجاه والعِرقِ
تدعو إلى التقوى باللين والرفقِ
يا رحمةً تُهدى مِن فاطر الخلقِ

ويحتل شهر رمضان مكانة كبيرة في نفوس الأطفال، يستقبلونه بالبشر والتَّرحاب، ويتغنون بالأناشيد في استقباله، ويشاركون الأسرة عاداته وتقاليده وطقوسه الخاصة، ويقبلون فيه على المساجد للصلاة وحضور مجالس العلم، ولذا فإن شاعرة الوادي تشارك الأطفال فرحتهم، إذ ترصد لهم ملامح استقبال هذا الشهر الكريم، وتغني معهم بقدومه، وتجدها فرصة لتقديم بعض التوجيهات والنصائح التربوية، فتقول في نشيد بعنوان: "جئت يا رمضان أهلا":[٣] (مجزوء الرمل)

أيها الشهرُ الكريمْ صاحبَ الفضل العظيمْ
جئتَ يا رمضان تسعى جئت بالخير العميمْ
جئتنا أهلا وسهلا ليتك الشهرُ المقيمْ
أنت للجنات تدعو كلَّ ذي قلب رحيمْ
إن تصم تبقى[٤]صحيحا فابتغ الجسم السليمْ
اجتنب قولا كذوبا الزم الدرب القويمْ
كن صدوقا كن عطوفا تلك أخلاق الحليمْ

وتقرن بين الصوم والصلاة وجليل الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الصائم، لتؤكد أن استقبال رمضان، والابتهاج بقدومه لا وزن له إلا إذا كان له أثره في النفس تهذيبا وارتقاء في مدارج التذكية الأخلاقية، تقول "نوال مهنى":[٥] (الكامل)

شهرُ الصيام يَفيضُ بالبركات
شهرٌ كريمٌ عاطرُ النفحاتِ
للمسلمين الصائمين أجورهم
نالوا الثواب ووافر الحسناتِ

---

(١) ديوان أهازيج الطفولة ص ٢٧.
(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ٢٧.
(٣) ديوان أغاني الطفولة ص ٢٤.
(٤) يُحمل ثبوتُ الألف على الضرورة الشعرية، إذ الواجب حذفها في جواب الشرط للجزم.
(٥) ديوان أهازيج الطفولة ص ١٧.

الله قد جعلَ الصيامَ فريضةً
وعبادةً للفوز بالجناتِ
فاقرن صيامَك بالصلاة مسبّحا
ترقى[1] بذكرك عاليَ الدرجاتِ
اعطفْ على الفقراء عطفا صادقا
تجنِ الثمار وتحصد الخيراتِ
ارفق بذي ضعف وفرج كربه
تهمي عليك سحائبُ الرحماتِ
فاضرعْ إلى المولى العظيم يصونُنا
ويعيذُنا من فاعلي السَّوْءاتِ
ويعيدُ شمل المسلمين مجمعا
من غربة نزلت بهم وشتاتِ

يحتاج الطفل بصفة مستمرة إلى من يهمس في أذنيه، يبين له فضل الإسلام وتعاليمه والعبادات التي يقوم بها الفرد، وما تتركه من أثر، يتمثل في سمو النفس وإشراق الروح.

التأمل في الكون:

الكون بما فيه من آيات منظورة تستدعي التفكير والتأمل الذي يسوق إلى التوحيد والإيمان بالله، ولهذا تلفت "شاعرة الوادي" أنظار الأطفال إلى هذا الكون وما فيه من مظاهر قدرة الله وإبداع صنعه، فتقول في: آيات الكون":[2] (مجزوء الرجز)

هذي السماء الصافيةْ
ذات البروج العاليةْ
فيها النجوم الضاوية
الله رافع عَمْدِها
وذي الجبال الراسيةْ
فيها المعادن خافيةْ
تحوي كنوزا غالية
الله حافظُ سرها
وترى الجداول جاريةْ
بين السفوح وساريةْ
تسقي الزروع الناميةْ
الله واهب ثَمْرِها
وهنا الزهور الناديةْ
فوق الغصون الدانيةْ
فيها المحاسنُ باديةْ
الله فاطر حسنِها

وهذه الأناشيد تعمل على حماية الطفل من التخبط والانحراف الفكري، والسقوط في لجج الحيرة والشتات، واستخدام أسلوب غير مباشر في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة التي ترد كل شيء في الكون إلى خالقه ومبدعه بهذه الطريقة الشعرية وافرة النغم، خفيفة الكلمات، سهلة الإنشاد، يجذب الطفل، ويحببه في الفكرة، لأنها أتت من طريق يلائم طبعه وهواه، "فالتلميح أشدّ أثرا من التصريح، لأنّه يخاطب العقل والعاطفة معا، ويثير العديد من الأسئلة الداخلية، مع محاولة العثور على إجابة مرضية"[3].

---

(١) يُحمل ثبوتُ الألف على الضرورة الشعرية، إذ الواجب حذفها في جواب الشرط للجزم.

(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ١٩.

(٣) أدب الأطفال: دراسة نظرية وتطبيقية، د. محمد علي الهرفي ص ٥١، دار الاعتصام- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

وتصدح كثيرا ببيان فضل الشمس على الدنيا والمخلوقات، لأنها توفر للكون الشروق والصباح والنور والبهجة، ولكل هذا أثر كبير في نفس الطفل، ينتظر يومه الجديد في لهفة، ويفرح بالضياء لإقباله على الحياة باللعب وملاقاة الأقران في سعادة، وكأن الشاعرة أرادت أن تقص عليه حكاية هذا النجم العملاق الذي لولاه ما تحققت للطفل متعته، فتقول في نشيد بعنوان: "شروق الشمس":[١] (مجزوء الرمل)

دون دفءِ الشمس يُمسي
كلُّ شيء في جمودْ
يسكن الخلق نياما
بانتظارٍ أن تعودْ
تلزمُ الشمسُ مدارا
لا تُرى عنه تحيدْ
في مساءِ اليوم تَمضي
بارتحالٍ للبعيدْ
آيةٌ من خَلْقِ ربي
خالقِ الكون المجيدْ

ومن هذه الأناشيد التأملية: "انظر لهذي السحب"[٢]، و"وردة حمراء" الذي تقول فيه الشاعرة:[٣] (مجزوء الرجز)

بديعةُ الرِّواءْ في لونها حنينْ
في صمتها إباءْ وهمسُها أنينْ
تميل في الهواءْ وفرعها سجينْ
تُراقِصُ الضياءْ وتُبهِجُ الحزينْ
تختال في انتشاءْ حينا وتستكينْ
تجود في سخاءْ بعطرها الثمينْ
إن ضمَّها إناءْ في روعة تُبينْ

وفي أخرى بعنوان: "سنابل القمح" تقول:[٤] (مجزوء الكامل)

هذي الحقول الناضجةْ فيها السنابل طازَجةْ
أعوادُها متمايلةْ بغِلالها مُتثاقلةْ
بين التراب فروعُها وإلى العَلاء فروعها
والشمس من حُبٍّ لها شادت سياجا حولها
تُهدي لها لونا بدا ثوبا شفيفا عسجدا
حان الحصاد فههنا محصولنا بل رزقنا
قمح وفير كالذهبْ سبحان ربي مَن وهبْ

وهكذا نجد الشاعرة على دراية تامة بنزعة الطفل التأملية، ورغبته الملحة في السؤال عن كل ما يحيط حوله، وانطلاق خياله في كل واد، وامتداد بصره نحو كل شيء.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية والمعرفية:

الأخلاق: جمع: خُلُق، والخلق في اللغة: الطبع والسجية، وهي حَال للنَّفس راسخة تصدر عَنْهَا الْأَفْعَال من خير أَو شَرّ من غير حَاجَة إِلَى فكر وروية[٥]، وللأخلاق في الدين الإسلامي أهمية بالغة، وذلك لأنها الدافع الذي يصنع تصرفات الإنسان، فليس سلوكه الظاهري

(١) ديوان أهازيج الطفولة ص ٤٠.
(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ٣٥.
(٣) ديوان أغاني الطفولة ص ٢٣.
(٤) ديوان أغاني الطفولة ص ٢٧.
(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ٥٣/٣، دار المعرفة- بيروت (د.ت)، وينظر: المعجم الوسيط (خلق)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ- ١٩٦٠م.

إلا انعكاسا لما هو مستقر في نفسه من معان ومفاهيم ومعارف، ولهذا عد "أحمد شوقي" الأخلاق سبيلَ بقاء الأمم، ودليل تحضرها إذ يقول:(١)

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همُو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد جسدت "نوال مهنى" قضية الأخلاق في أسلوب قصصي طريف في حوار بين دجاجتين: بيضاء وسمراء، فقالت:(٢) (مجزوء الوافر)

تقول دجاجتي البيضا
ءُ للسمراء: يا حُسْني
أنا محظوظة حقا
بهذا الشكل واللونِ
وكلُّ الطير يحسُدني
فبِتُّ أَخافُ حُسّادي
جمالُ الشكل يجعلني
أتيهُ بمنظري فخرا
فعُرْفي فاقعٌ يُغري
وريشي ناصعٌ نادي
فقالت أختُها السمرا:
دعي الإعجابَ باللونِ
فحُسْنُ القَدِّ منفردا
عن الأخلاق لا يغني
وهذا اللونُ أو ذاكا
له في النفسِ معناهُ
فكم من كائنٍ يسعى
بما يمتاز تيَّاهُ
غرورُ الطبعِ يا أختي
بغيضٌ يُفسدُ القلبا
جمالُ الروحِ لو ندري
يفوق القَدَّ والهُدْبا
فليس الشكلُ مقياسا
ولا باللون نمتازُ
وكنزُ المرءِ أخلاقٌ
بها عِزٌّ وإعزازُ
وكلُّ مواهبٍ كُسِبتْ
لذاتِ المَرءِ تُذكيهِ
تَزِيدُ مَقامَه قَدْرا
وبينَ الخَلْقِ تُعليه

وتبصير الطفل بأن الأخلاق هي معيار التفاضل بين الناس، وأنه لا فضل لأبيض على أسود، ولا لعربي على عجمي إلا بالتقوى، من الأمور التي تشتد حاجته إليها في طفولته، وينبغي ضبطها في نفسه مبكرا، حتى يكون سويا في تصرفاته بين أقرانه، فلا يزهو بنفسه عليهم، ولا يشعر بالخسة بينهم، ولا يصطفي أو يقصي أحدا منهم على غير هذا المبدأ الإسلامي الرشيد، وليس هناك أكثر تشويقا وتثبيتا للقيم والأخلاق في نفوس الناشئة من أسلوب القص والحوار، الذي يوظف الطيور

---

(١) الشوقيات المجهولة، (آثار شوقي التي لم يسبق كشفها أو نشرها: دراسات وأضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وأدبه)، د/ محمد صبري: ٧٧/١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م..

(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ٣٠ و٣١.

والحيوانات ويشخصها، ويجعلها تنطق بالحكمة والصواب، وهو أسلوب أدبي له أهداف كثيرة كان أول من استفاد منها "ابن المقفع" في كتاب "كليلة ودمنة"، أبرزها التشويق والإثارة للعوام والخواص على حد سواء، ومنها النقد السياسي الذي يعطي الكاتب مساحة من الحرية واسعة في إبداء آرائه(١).

وفي قصيدة بعنوان: "حسن الخلق"، تعلي الشاعرة من قيم: العطاء، والحب، والإحسان، حين تقول:(٢) (مشطور البسيط)

حسبي من الدنيا أني بإمكاني
أهدي لمن حولي حبي وتَحناني
أعطي بلا منٍّ من قلبيَ الحاني
حبي لأستاذي نصحي لإخواني
لا أبتغي أجرا أو شكرَ إنسانِ
الله بالحسنى والبر أوصاني

ومن الأخلاق التي جلّتها شاعرة الوادي في قَصِّها الشعري للأطفال، خلق "الرحمة بالحيوان"، فتجعل الطفل يغني للقطة الصغيرة في نشيد" "قطتي":(٣) (المتدارك)

القطة عندي كالطفلِ أرعاها دوما بالأكلِ
وأقوم إليها في لَهَفٍ باللبنِ الطازَجِ والعسلِ
وأخاف عليها من خطرٍ فأعود إليها بالعَجَلِ

كلمات تداعب مشاعر الطفل، وتحرك في نفسه الرحمة والحنان تجاه هذه المخلوقات الوديعة العجماء التي كفل الإسلام لها حق البقاء والعطف.

وخلق الأمانة والوفاء للأصدقاء يتجسد في "الكلب"، فيتغنى هذا الحيوان بأمانته ووفائه، فيقول:(٤) (مجزوء الرمل)

إنني كلب أمينْ مَذهبي حبُّ الوفاءِ
مخلص في كل وقتي حافظ للأصدقاءِ
أحرس البيت سليما والزرابي في الخلاءِ
لست أنسى أصدقائي أو أغالي في الجفاءِ
إنني كلب وفيٌّ أحتفي بالأوفياءِ

وتدمج الطفل في عالمه، وتخرج به عن حدود بيئته، فتلفت نظره إلى معاناة أقرانه من أطفال فلسطين مع المحتل اليهودي، فتكتب نشيدا حزينا، يحمل قيمة الشجاعة والتضامن والأخوة والشعور الإنساني على لسان طفل فلسطيني، يقول فيه:(٥) (مجزوء الرجز)

قصَّتْ لنا أمِّي عن ظالمٍ جبّارْ
يأتي لقريتنا في صحبة الأشرارْ
يغزو منازلنا يتسلق الأسوارْ
يفني مزارعنا ويقطع الأشجارْ

ثم تأخذ في بيان أثر تحميس الأم لطفلها في نفسه، وكيف ترسخت فيها كراهية الأعداء، ومعرفة وضاعتهم، فتقول:

فجلستُ في حزَنٍ تنتابني الأفكارْ
هدم يحاصرني ذا بيتنا ينهارْ

---

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي، عبد اللطيف محمود حمزة ص ٣٧٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الخامسة.
(٢) ديوان أهازيج الطفولة ص ١٥.
(٣) ديوان أناشيد الطفولة ص ١٢.
(٤) ديوان أناشيد الطفولة ص ٣٥.
(٥) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٢١.

فوقفت في فزع أرنو إلى الأحجارْ
ستكون عدتَنا وسلاحَنا البتارْ
وجمعت عائلتي وتلاقت الأبصارْ
عارٌ تخاذلنا لن تقبل الأعذارْ
أحجارُ منزلنا تبكي على الأبرارْ
هيا لنحملَها نرمي بها الفجارْ

والعلم قيمة معرفية ذات أولوية خاصة في حياة الأطفال، لأنها لابد أن تبدأ معهم منذ نعومة أظفارهم، ولا يمكن إهمالها، لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وفي الكبر كالرقم على الماء، لذلك فإن الطفل بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيده في اتجاه تحقيق هذه القيمة العظيمة، التي تنحاز فيما بعد إلى قيمة أكبر، وهي تثقيف المجتمع وتحضره، وقدرته على الإبداع والتميز.

وتعد من أهم القيم المعرفية التي دعا إليها الشعراء قديما وحديثا؛ فلا يمكن إغفال ما قيل من شعر على مدار التاريخ في بيان فضل العلم والعلماء، وتأثير هذه النماذج الشعرية في نفوس الأجيال، حتى أصبح بعضها أحدوثة كل مجمع ومحفل يقدس العلم ويرفع من شأنه، كقصيدة " القاضي الجرجاني" التي مطلعها:[١] (الطويل)

يقولون لي فيك انقباض وإنما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

وتائية أبي إسحاق الإلبيري في العلم والزهد، التي مطلعها:[٢] (الوافر)

تفُتُّ فؤادك الأيام فتّا
وتنحِت جسمَك الساعاتُ نحتا

وقصيدة "أحمد شوقي" التي مطلعها:[٣] (الكامل)

قم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

ونماذج أخرى كثيرة علقت في الأذهان وسارت مسير الشمس، لشرف موضوعها، ونبل مقصدها، وسمو الهدف الذي قيلت لأجله.

والاهتمام بقيمة العلم لدى الأطفال يتمثل في ترغيب الطفل في المدرسة والكتاب والمكتبة، وغيرها مما يرتبط بالعملية التعليمية، وهذا ما نجده عند شاعرتنا التي كانت حريصة على مساعدة الطفل على تحقيق ذاته، وتوسعة معارفه، وتطوير قدراته، فتحدث الطفل عن الكتاب بقولها في نشيد: "كتابي":[٤] (مجزوء المتقارب)

كتابي جميلٌ بديع الصورْ
رسوم نقوش بلون الزهَرْ
وفيه النجومُ وفيه القمرْ

---

(١) ديوان القاضي الجرجاني: ص ١٢٧، حقيق/ سميح إبراهيم صالح، دار البشائر- سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) ديوان أبي إسحاق الإلبيري: ص ٢٤، تحقيق د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٣) ديوان أحمد شوقي: ١/ ١٨٨، دار صادر- بيروت (د.ت).

(٤) ديوان أغاني الطفولة ص ١٧.

وفيه الأحاجي لوقت السمرْ
كتابي صديقي أخاف عليهِ
جميع المعارف في دفتيهِ
كنوز المعاني تصان لديهِ
تعيش وتخلد في خافقيهِ
وفي كل وقت أعود إليهِ

وفي "مدرستي" راحت تبعث في نفوس الأطفال الشوق إلى فنائها ورحابها، وتحثهم على احترام النظام وتبجيل المعلم، فتقول:[١] (مجزوء الرجز)

مدرستي كبيرةْ فصولها كثيرةْ
فناؤها منسقٌ كروضة نضيرةْ
أحبها لأنها لمهجتي أثيرةْ
شعارها النظامْ ورمزها السلامْ
وفي الصباح عندما آتي إليها دائما
برفقتي حقيبتي أبدو سعيدا باسما
حين أرى معلمي أومي له مسلما

ولا تنس دور المكتبة التي لا يرتادها إلا عشاق العلم والمعرفة، فتقول على لسان طفل يدعو صديقه إلى المكتبة، ويبين له فوائدها:[٢] (المتقارب)

صديقي تعال إلى المكتبةْ
نسير إليها على مقربةْ
نطالع فيها كتابا مفيدا
وعلما سنعلو به مرتبةْ
هنا سوف نقرأ بعض السير
وندرس بعض لغات البشرْ
ونعرف منها حياة الشعوب
وسوف نقوم برسم الصورْ
ففي المكتبات جميع الكتبْ
لكل العلوم وشتى الأدبْ
وفيها المعارف من كل لون
وتحوي تراثا لماضي الحِقبْ

وتحث "نوال مهنى" الأطفال على طلب العلم، والصبر على تحمل الصعاب في طريقه، ما دامت ثمرته طيبة، وقطفه شهيا، لأن كثيرا من الأطفال في مراحلهم الأولى لا يدركون أهمية العلم في بناء أنفسهم ومجتمعاتهم؛ لما يتطلبه من الجد والصبر واحتمال المكروه، وهي أمور خارجة عن طبيعة الطفل ومزاجه، ومن ثم نجدها تدعو الطفل في قصيدتها: "كن طموحا"، إلى العلم، فتجعله السبيل الأوحد إلى المعالي، إذ تقول:[٣] (مجزوء الرمل)

واسلك العلم طريقا فبه تُبنى المعالي
كل ذي جِدٍّ صبورٍ ذي ثبات واحتمالِ
يجتني قطفاً شهيّا بعد أن قاسى الليالي

إن القيم الأخلاقية والمعرفية كثيرة في شعر الأطفال عند "نوال مهنى"، فهي لا تعبث في كتابتها، ولا تكتب نصا خاليا من مغزى أو قيمة أو فضيلة، تتسق مع تعاليم الإسلام، ينتفع بها الأطفال، وتسهم في بناء شخصياتهم، وهذا هو الواجب في شعر الأطفال، حيث " يجب أن يكون شعرا موجها مقوما، يسبر أغوار الطفل النفسية، فيوقظ الخير فيه، ويشد عليه، ويقاوم الشر ويقضي عليه"[٤].

---

(١) ديوان أغاني الطفولة ص ٢٥.
(٢) ديوان أهازيج الطفولة ص ٢٩.
(٣) ديوان أهازيج الطفولة ص ٣٢.
(٤) دراسات في أدب الطفل ونصوصه، د/ حسام محمد علم، ص ٧٩، جامعة الزقازيق (د. ط، د.ت)

المبحث الثالث: القيم الاجتماعية والآداب العامة:

من الوظائف والغايات الأساسية للأدب، ولا سيما أدبَ الأطفال: تقديم الخبرة الواقعية التي اكتسبها الأديب من واقعه، نتيجة تجاربه الكثيرة في كل ميدان من ميادين الحياة، "... يمكننا أن نقول: إن على من يكتب للأطفال مهمة أساسية، وهي مساعدة الطفل على أن يعي معنى الحياة، ومساعدته في عملية حيازة هذا الوعي"[١]، وعملية الوعي تنتج عن رؤية الأديب والتزامه نحو مجتمعه وقضاياه، حتى يكون إبداعه في مسار صحيح، يمد الطفل بقيم تؤهله للقيام برسالته ومهامه كطفل سوي صحيح الوعي، مستقيم الفكر.

إن تربية خيال الطفل وتشكيل قناعاته وبناء الإدراك والوعي في داخله، ليس أمرا سهلا؛ بل يحتاج إلى حرص شديد في التعامل معه، وإلى صدق في جميع أنماط الحياة، حتى يفهم الأشياء على حقيقتها، وقد بالغ الدكتور: "وارنجتون" في تأكيد هذا الأمر حتى قال بوجوب تعويد الطفل منذ نعومة أظفاره، على أن تكون أعماله كلها عن قصد وعزيمة، ولهذا يجب ترك إقامته وتمشيته بالآلات الصناعية حال عجزه عن ذلك بنفسه؛ لأن فيه تضليلاً له في فهم مقدار قواه، فإنه حينئذ يتوهم أنه يدرج بنفسه، والدارج في الحقيقة هي تلك الآلات التي يعتمد عليها، وهو وهمٌ يصحبه طَوال حياته، ويظهر أثره في عامة شؤونه[٢].

تحتل القيم الاجتماعية في شعر الأطفال عند شاعرتنا مكانا مرموقا؛ فنجدها تعزف على قيثارتها أناشيد كثيرة لها منظور اجتماعي، أرادت من خلاله بناء جسور الثقة والتواصل الجيد والإيجابية في شخصية الطفل، نجد ذلك جليا في حكايتها عن: "النملة الرشيدة"، إذ تقول:[٣] (مجزوء الرجز)

في حجمها صغيرةْ لكنها قديرةْ
تَجِدُّ في الأداءْ وتحفظ الغذاءْ
وتحمل الثقيلْ بجسمها الضئيلْ
تُخزن الطعامْ وتعشَق النظامْ
وتهوى الادخارْ وتحسم القرارْ
في قُوْتِها توفرْ بالعدل لا تبذرْ
تبريرها حكيمْ ذو منطق سليمْ

يحتاج الطفل في علاقاته وسلوكياته الاجتماعية، ومع أسرته خلال يومه كله، منذ أن يستيقظ حتى ينام، إلى مثل هذه المعاني والقيم التي جسدتها له الشاعرة في سلوك "النملة"، التي هي مثال للنظام الدقيق في حياتها، ومثال للعمل الدؤوب والجد وتحمُّل الأعباء الكثيرة، واتخاذ القرار المناسب القائم على حكمة وروية ومنطق سديد.

---

(١) أدب الأطفال بين الوعي والخيال، ليلى صايا سالم ص ١١٥، الموقف الأدبي: العدد ١٥٩و١٦٠، اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٤م.

(٢) مجلة المنار، الكاتب: عبد العزيز محمد: ٦١٣/٢، ٠أميل القرن التاسع عشر).

(٣) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٤٢.

وتغرس في نفسه الطموح الذي يبلغ به قمم المعالي، وترشده إلى قيمة العمل وقيمة الوقت، فتقول:[١] (مجزوء الرمل)

كن طموحا للمعالي واكتشف سِرَّ المُحالِ
واطلب المجد قرينا باحثا عن كل غالي[٢]
عش كريما وعزيزا بالرزايا لا تبالي
لا تُضع وقتا ثمينا في صراع وجدال

والطفل بطبيعته يميل إلى الانعتاق من كل قيد، ومن هنا تأتي أهمية توجيهه، وتحفيزه بهذه اللغة الحماسية التي تبذر في وِجدانه بذور الهمة والإقدام واقتحام الشدائد بروح وثابة، وعين تنظر إلى المستقبل بكل أمل وتفاؤل.

وتعطي الشاعرة للأطفال دروسا عظيمة في وجوب احترام الكبير، وتقدير تجارب الآخرين، وخاصة إذا صدرت من ناصح أمين كالأبوين، أو من ولي الأمر عموما؛ فتبين عاقبة مخالفة أهل الخبرة والتجربة، وعاقبة التقليد بغير وعي في قصيدتها: "حكاية عصفورة"، التي مطلعها:[٣] (المتقارب)

تنوح وتبكي بكاء الحنونْ
بدمع غزير يذيب الجفونْ

فتقص فيها حكاية بين عصفور صغير وأمه، تركته في عشه لينام، فراح يقلد الطيور في طيرها، وهو لا يزال فرخا صغيرا، فسقط على الأرض ثخينا، وأدرك أنه أخطأ فيما فعل، فيعترف ويعتذر لأمه قائلا:

فقال: صدقتَ وإني الملومْ
فلم أُصغِ حقا لأم حنونْ
ضربت بنصحك عرض الفضاءْ
فكان جزائي بما تعلمينْ
رأيت الطيور تطير وتعلو
تحرض ريشي بمكر دفينْ
دعوني لحتفي فكنتُ الملبِّي
فكان سقوطي بهذا الكمينْ
فقد خلت نفسي أميرَ الطيورْ
أجوبُ السهولَ وأطوي الحُزونْ
جهِلتُ مكاني وأغفلت قدري
دعاني غروري لفعلٍ مُشينْ

والقصيدة ترمز إلى معان بعيدة، وترمي إلى أهداف تربوية عميقة، وتشير إلى مواقف اجتماعية كثيرة ذات خطر في حياة الإنسان؛ فالطيور ربما تكون رمزا لرفقاء السوء أو المضللين وأصحاب الفكر الشاذ، وربما هي الأهواءُ التي قد تجرف صاحبها إلى مصير مجهول، وتودي بها إلى الهاوية، كذلك تجسد قيمة الاعتراف بالخطأ ومحاولة تصحيح المسار، والعودة إلى أحضان الحق أو الأسرة أو الوطن، الذي من شأنه أن يعفو ويصفح، كما قالت الأم لفرخها:

فقالت: سلاما وعفوا صغيري
فما كنتَ يوما بقلبي تهونْ
أراك أتيت ذنوبا لعمري
فلم ترض مني دروس السنينْ
وكنت تغامر دون تروٍّ
وسوءُ العواقب دوما يَبينْ
وطرت تقلد منهم كبيرا
وذاك وربي لعين الجنونْ

---

(١) ديوان أهازيج الطفولة ص ٣٢.
(٢) ثبوت ياء الاسم المنقوص للضرورة الشعرية.
(٣) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٤٣.

فمن لم تفده الدروس كثيرا
فسوف يلاقي رياح المنونْ
وتلك الوصايا لتحيا كريما
وتبقى عزيزا وتبقى مصونْ

المسار الرمزي هنا يتجلى عن معان كثيرة، وينفتق عن دلالات عديدة، تتعالق مع الأسرة والوطنية وكل ما يعمق فكرة الانتماء والهرب من الجموح والشذوذ في داخل الطفل، ولخطورة الفكرة وأهميتها فقد آثرت الشاعر تكرارها في قصيدة: "السمكة الصغيرة"[١] التي خالفت أمها، واتبعت صديقتها، وأخذتها الحماسة، فراحت تقلد الأسماك الكبيرة في العوم، فجاء حوت فابتلعها، وقد أجادت كذلك استخدام الرمز في هذه القصيدة كأن تقول: (مجزوء الرجز)

تحوم حول بيتها وفي حمى الجماعةْ
فصادفتْ صديقةْ من طبعها اللكاعةْ

وغيرها من الأبيات التي نقلت التجربة في ثوب قصة جميلة معبرة، تستخدم الشاعرة فيها أسلوب التلميح لا التصريح، وهو أنسب الطرق إلى إقناع الطفل.

يظل الأطفال فترة طويلة يعيشون مرحلة التكيف مع المجتمع، واستكشاف الواقع، يخطئون مرة ويصيبون أخرى، ويتطلعون إلى كل جديد حولهم، فيغامرون ويقبعون، ويُقدمون ويُحجمون، ليس لديهم رصيد كاف من التجارب الاجتماعية التي تهديهم إلى السلوك الأرشد والاختيار الأقوم في الظروف والمواقف الاجتماعية المتباينة، ومن ثم كانت حاجتهم إلى التنشئة الاجتماعية السليمة.

وتعطي الأطفالَ الصغار جرعة كبيرة من النصائح الاجتماعية في نشيد بعنوان: "في الصباح"، تقول فيه:[٢] (مجزوء الرمل)

عندما أصحو صباحا في سرور وابتسامْ
وأحيِّي أهل بيتي بالتحايا والسلامْ
وإذا ما الأم أبدت ي وصايا في الكلامْ
أسمع النصح وأُصْغِي في هدوء واحترامْ
إنني في كل يومي مستجيب في نظامْ
بعدما أنهي طعامي وشرابي بالتمامْ
أرتدي حالا ثيابي باعتزاز واهتمامْ
ثم أمشي في طريقي مستقيما للأمامْ

تنتقي الشاعرة ما يتلاءم مع نفوس الأطفال، وما يتعلق بحياتهم، وما يحتاجون إليه فيها، ونتاجها في هذا الجانب التربوي غزير ورائق.

وتصحب الطفل في حبوه، كما في: "وداعة طفل" التي مطلعها:[٣] (مجزوء الرمل)

يملأ البيت ضجيجا حين يحبو أو يسيرْ

وترصد مواقفه الكثيرة بين أفراد أسرته، وفي مدرسته بين زملائه وأقرانه في قصائدَ متعددةٍ كالأمثلة السابقة وغيرها، حاملة في كل حروفها مهمة التربية والتوجيه والنقد الذي يرتقي بالطفل إلى مستوى الإبداع والجمال في تعاملاته وأخلاقه.

---

(١) أناشيد الطفولة ص ١٠.

(٢) أناشيد الطفولة ص ٢٥.

(٣) ديوان أغاني الأطفال ص ٢٨.

المبحث الرابع: القيم الوطنية وتعزيز الانتماء:

الوطن هو الكِيان العام الحاضن للإنسان بعد أسرته وقريته أو بلدته، هو البيئة التي يعيش في كنفها، يتنفس هواءها، ويستظل بسمائها، ويتعامل مع أهلها، ويتمتع بما فيها من خيرات، ويكتسي بسماتها وخصائصها.

وللوطن مكانة عظمى في نفوس أبنائه ممن نشأوا نشأة سوية، فعرفوا قدره وأهميته، وأحبوا العيش في أرجائه، فإذا اغتربوا عنه، حنوا إليه حنين النيب لولدها، لديهم وعي كامل بالحقوق والواجبات تجاهه، وهذه هي التربية الوطنية المأمولة في كل جيل.

وإذا كانت التربية تنشئة وإعدادا، فإن التربية الوطنية تعني "إعداد الإنسان ليعيش في مجتمع معين، ويتكيف تكيفا سليما مع نظم المجتمع الذي يعيش فيه، ومع قواعده وقوانينه، ويتفاعل معه بتقديم واجباته نحوه، وأخذ حقوقه منه، داخل حدوده وخارجه"[١]، فيعرف الواجبات والحقوق، سواء أكان في داخله أم في خارجه.

وإذا كانت مرحلة الطفولة أهمَّ مرحلة ترتسم فيها ملامح الإنسان، وتتحدد معالم سلوكه؛ فينبغي التركيز على تعزيز الانتماء الوطني بداخل الطفل، وتنمية النزعة الوطنية عنده، بما يضمن للمجتمع أن يكون مواطنا صالحا يعرف مكانة الوطن، ويحافظ على مكتسباته وممتلكاته، ويحمي أرضه وحدوده ويضحي لأجله بنفسه ومااله، "إن قيمة الانتماء لدى الطفل في السنوات الأولى من حياته تمتد وتنتقل بشكل تدريجي من بيئته الأسرية إلى بيئات أخرى كالحي والبلاد التي يقيم بها، لتنتقل بعدها بشكل تدريجي إلى مجتمعه ووطنه الكبير"[٢]

وقد جَهَدت "شاعرة الوادي" نفسَها في تعزيز الروح الوطنية لدى الأطفال، فغنت معهم أشعارا وطنية كثيرة، تبعث في نفوسهم حب مصر، وتولد فيها الانتماء والولاء، وتعلي في عيونهم قيمة التضحية والفداء.

تجعل الوطن أمًّا، وتنادي مصر نداء الطفل لأمه، فتصدح بنشيد عنوانه: "يا مصر يا أمي"، تقول فيه: [٣] (مشطور البسيط)

يا مصرُ يا أمي أهواكِ يا حبي
يا جنةَ الدنيا قد صاغها ربي
في ظلها أحيا بالروح والقلبِ
يا مصـــر يا أمـــي
أهرامنا الكبرى من سالف العهدِ
مَن قام يبنيها؟ انظرْ إلى جَدِّي
ولسوف أحميها وأذودُ عن حَدِّي
يا مصـــر يا أمـــي

تعتمد في إثارة الروح الوطنية عند الأطفال على معان عاطفية قوية، إذ تجعل الوطن/ مصر أما، ثم جنة للدنيا، صيغت بيد الخالق،

---

(١) المواطنة، إبراهيم ناصر ص ٢٤٦، بتصرف، مكتبة الرائد العلمية- عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة، د/ حليلو نبيل ص ٢٣٣، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد الحادي عشر ٢٠١٣م.

(٣) ديوان أناشيد الطفولة ص ٦.

ثم تذكر ما يميزها ويجعلها متفردة، مثل: الأهرام، وهي معلم من المعالم الأثرية المائزة لمصر بين بلدان العالم، وتذكر الأسباب الداعية إلى حب الوطن، وأولها ما يلخصه بيتها الثالث: (في ظلها أحيا، بالروح والقلب)، وتتحدث في مقطع آخر من هذا النشيد عن جمال الوادي والنيل والخضرة؛ لتنقل الطفل إلى مرحلة التشبع بحب مصر، فهي المهد ومرتع الصبا والظل الظليل والمكان الذي يقيم عليه الطفل حياته كلها، وللمكان تجليات عديدة ووظائف كثيرة في الشعر العربي، حتى عند البدوي المترحل في شعره، تعطي انعكاسا لقيمته وأهميته، وتؤكد عشقه لصحرائه بكل ما فيها.

وتفسر الشاعرة للأطفال معنى العَلَم في: "نشيد العلم"، وهو ما يجعل الطفل يفكر ويتساءل ويحلل، حتى يصل إلى مرحلة احترام الرموز الوطنية، حيث تقول في هذا النشيد:[١]

(منهوك الرجز)

هذا العَلَمْ رمزُ الأممْ
في خفقه نبض الهممْ
مَن صانه منذ القِدمْ
يعلو به فوق القممْ
هيا بنا حيوا العلمْ
هيا بنا نتلو القسمْ

والدفاع عن الوطن، والتضحية في سبيله شرف وقيمة عظيمة ينبغي أن يدركها الأطفال منذ الصغر، فراحت الشاعرة تحدث الناشئة عن روح الجندي وشجاعته وحبه للموت في سبيله، في: "نشيد الجندي" حين تقول:[٢] (الهزج)

أنا جندِيْ أنا جنديْ قويُّ الجأش والأيدي
أَبِيتُ مرابطا أحمي بلادي موطنَ الجِدِ
ويومَ الروع تلقاني مثالا يُحتذى بعدي
سلاحي بعضُ إيماني لساني دائمُ الحمدِ
فإن أقضِ هنا نَحْبي فداري جنة الخلدِ
وأزهو بين أقراني: نا جنديْ أنا جندي

وتعمل جاهدة على تعزيز هذا الجانب، وربط وجدان الطفل بوطنه، في قصائد كثيرة غير ما سبق، مثل: "بلادي أيا مصر"[٣]، و"مصر الحبيبة"[٤]، و"متحف الآثار"[٥]، وغيرها من القصائد التي تتجه اتجاها وطنيا واضحا، يرفع من رصيد الوطن في قلوب الأطفال، ويمدهم بالمعرفة المؤهلة لتعظيمه والافتخار به؛ لأن العاطفة وحدها غير كافية، بل تحتاج إلى دعائم علمية وطرق منهجية لتأكيدها واستمرارها.

والحقيقة أن الإيجابية والمحافظة على المال العام والخاص، وحب البناء وعمارة الأرض، وغيرها من القيم ترتبط ارتباطا وثيقا

(١) ديوان أناشيد الطفولة ص ٣٩ و ٤٠.

(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ٣٢.
(٣) ديوان أغاني الطفولة ص ٨ .
(٤) ديوان أهازيج الطفولة ص ٢٤.
(٥) ديوان أناشيد الطفولة ص ٢٦.

بقيمة الوطن في نفوس أبنائه، فكلما تمكنت هذه القيم من نفوسهم، زادت مكانة الوطن فيها، ولعل الشاعرة كانت واعية بأهمية ترغيب الأطفال في التعمير والبناء، كما في: "نشيد الفلاح" الذي أكدت فيه قيمة إعمار الأرض بالزراعة، وجعلت حرثها مادة للفخر على لسان الفلاح، إذ تقول:[١] (الهزج)

هنا زرعي ومحصولي

هنا قمحي هنا فولي

وأرض الحقل أحميها

وأحرسها وأرويها

وفيها يُنثر الحبُّ

فيكسو وجهها عشبُ

ولعل التناسبية بين موضوع الزرع والحرث كرمز لعمارة الأرض وعقل الطفل ومستوى تفكيره، كانت السبب في اختيار فكرته، لسهولته وعلاقته بالطبيعة، ولذلك فإن الشاعرة تجلب مادتها الشعرية في بيان أهمية إعمار الأرض بالبناء من الطبيعة أيضا، فتنقل تجربة الببغاء، وهي تبني عشها، فتقول في: "الببغاء والعش":[٢] (مجزوء الرمل)

تجمع القَشَّ وتأتي

بالحزيمات الوريقةْ

ثم تكسوها بعشبٍ

في مساحات رقيقةْ

تُنجِزُ الآمالَ فورا

بالمعايير الدقيقةْ

والزراعة والبناء أفعال تغرس في نفس الطفل الأمل والتفاؤل وحب الوطن وإعماره، وكراهية التخريب والهدم، والاعتداء على المنشآت والممتلكات سواء أكانت صناعية أم طبيعية، فللشاعرة قصائد تدعو فيها الأطفال إلى المحافظة على النباتات والورود، كما في: "لا تقطف زهرا"، وفيها تقول:[٣] (المتدارك)

للزهر غصون تحمله

بحنان الأم تُدَلِّلُهُ

جذاب اللون لروعته

خصلات الشمس تغازلهُ

ويَفيض بهاءً يُسعدنا

فتكاد العين تُقَبِّلُهُ

وتختمها بقولها:

لا تَقْطِفْ زهرا بل دعْهُ

يحيا في الروض يُجَمِّل

فالمحافظة على الأماكن العامة دليل على حب الوطن، واحترامُ كل شيء فيه صغيرا كان أو كبيرا، دليل على ذلك أيضا، والرقابة الذاتية التي يبلغ بها الإنسان هذه الدرجة، تنمو في نفس الطفل تدريجيا بالإخلاص في توجيهه ورعايته، واتخاذ الأدب والشعر وسيلة تربوية لتصحيح سلوكه، وتكوين خياله، لأننا إذا لم ننتبه لخطورة تعهد الطفل ورعايته، سوف نقع في إشكالية مهمة، "وهي تلك المحاسبة المغلوطة لأجيال من الشباب لم تعِش طفولة سوية، ولم يتمكن المجتمع من غرس القيم الإيجابية الصالحة في نفوسهم، حتى إذا ما

(١) ديوان أهازيج الطفولة ص ٢١.

(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ٦.

(٣) ديوان أناشيد الطفولة ص ١٧.

كبروا وصاروا شبابا، رحنا نسائلهم تارة، ونتهمهم بالتقصير، وضعف الانتماء والتكاسل عن خدمة الوطن تارة أخرى"[١].

المحور الثاني: القيم الفنية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى":

شعر الأطفال له خصائص فنية مائزة يجب على مبدعيه العناية بها، وعدم التركيز الزائد على الهدف القيمي، الذي لا يمكن إنكار أهميته وأنه يعد الهدف الأسمى من أدب الأطفال عموما، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا المعيار داخل نصوص كسيحة خالية من مقومات الإبداع وجمال الخطاب.

ويدور الحديث في هذا القسم من البحث حول خمسة عناصرَ أساسيةٍ تمثل كل منها مبحثا من مباحثه، وهي:

- التناسبية اللغوية.
- توظيف الضمائر.
- البنية القصصية.
- التشويق الخيالي.
- الإيقاع الموسيقي السريع.

المبحث الأول: التناسبية اللغوية:

لا يقدِّم أدبَ الأطفال غالبا أدباءُ متخصصون فيه، يقفون إبداعهم عليه، ويقصرون موهبتهم على فنونه، فالشعراء منهم يكتبون دون أن يصادروا موهبتهم، أو أن يحصروها في زاوية خاصة أو مجال محدد، وأبَوْا إلا أن يسهموا إسهاما خاصا في رفع مستويات الوعي والإدراك لدى الطفل العربي؛ فهم شعراء موهوبون يَصدرون في إبداعهم عن تجاربَ قويةٍ وقريحة صافية، ولغة عالية.

ولا شك أن هذه اللغة العالية تكون بالنسبة للطفل بعيدة الأغوار، صعبة المسالك، وهو ما يجعلها تقتصر على المتلقين في مراحلَ أعلى، لأن المتعة الفنية والإحساس بجمال النص، وفهم رسالته، لا يمكن أن يتحقق إلا حينما تكون المسافة بين المتلقي واللغة قريبة، فتصبح هذه اللغة مأنوسة ومألوفة له أولا، ليتمكن بعد ذلك من التعامل مع دلالات الألفاظ والتراكيب، وفهم أنساقها وطرائقها التعبيرية، ولا سيما إذا كان هذا المتلقي هو الطفلَ الصغيرَ الذي لا يندغم بطبعه إلا فيما يُبهره ويستحوذ على مشاعره.

لذا فقد أصبح من واجب الكتاب والشعراء الذين يتوجهون بإبداعهم إلى الطفل أن يكونوا على حذر أثناء ممارسة الإبداع، وأن يكون متلقوهم حاضرين أمامهم في كل مراحل العملية

---

(١) خطاب النثر العربي: بلاغة التشكيل والتأويل (حكاية الطفل وسؤال الهوية، د/ أحمد عبد العظيم محمد) ص ٢٢٠، عالم الكتب– القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

الإبداعية، فيتخيروا لهم "ما سهل معناه، وخفت موسيقاه، وناسبهم موضوعه وأهدافه.."[١].

فاللغة الموجهة للطفل يجب أن تناسب الفئة العمرية التي ينتمي إليها، ينبغي أن تناسبه بيئيا وتربويا ونفسيا، وهذا التناسب نوع من الصدق مع الطفل، وأيضا نوع من تحقيق الجاذبية المطلوبة والهيمنة على أحاسيسه واستقطابه، وهذه ليست بالمهمة السهلة، يدل على ذلك أنه لمّا سئل الكاتب الأيرلندي "صمويل بيكيت": لم لا تكتب للأطفال؟ فقال: "لأني لم أنضج بعد"[٢]، ويقول "جبران خليل جبران" عن الأطفال في كتابه: "النبي": "قد تمنحونهم حبكم، ولكن دون أفكاركم؛ فلهم أفكارهم، ولقد تؤوون أجسادهم لا أرواحهم؛ فأرواحهم تسكن في دار الغد، وهيهات أن تُلموا به ولو في خطرات أحلامكم"[٣]

وهذا الكلام يشدد على أن هناك دقةً بالغة تجب مراعاتها في الخطاب الموجه للطفل، دقةً في اختيار الموضوعات ثم الألفاظ والتراكيب والصور والأخيلة، ثم في القوالب الموسيقية؛ بحيث تتسق كلها مع الخصوصية الشديدة التي يعيشها الطفل، ليس لأنه ذو مستوىً إدراكيٍّ أقلَّ فحسبُ؛ بل لأنه- وهو الأهم- يفكر بطريقة خاصة، ويعيش في بيئة خاصة، وعالم جديد من التغيرات التي يستجيب لها بسرعة كبيرة، ويتأثر بها تأثرا قويا، يلاحقه في تصرفاته وسلوكياته فيما بعد؛ إذ الطفل أسرع استجابة من الراشد لما يحيط به، ولذا يجب أن تكون بيئته كالشرنقة التي تحجب عنه كل ضار من العالم الخارجي.

وليست الدعوة في هذا الشأن إلى تناسبية تجتث جذور الماضي، وتعمل على خلق صياغات عصرية وليدة الاستعمالات اليومية، أو وليدة اللهجات العامية وما فيها من تراكيبَ خاصةٍ بها، فهذا من شأنه إضعاف اللغة العربية، وهدم العلاقة الممتدة بين الحاضر والماضي، وعلى هذا الأساس تأتي أهمية اللغة في بناء جسر من التواصل بين الماضي بكل ما يحمل من دلالات وقيم، وبين الحاضر الذي لا يستقيم بناؤه إلا على قاعدة تراثية قوية، "فالهدف الأسمى من شعر الأطفال هو تنمية قاموسهم اللغوي، وأحاسيسهم الخاصة، كذلك فإنه يؤصل التذوق الأدبي للأطفال، ويستثمر خصائص اللغة البسيطة في تقديم قيم أدائية تعبيرية.

على هذا فإنه يجب أن تكون لغة الشعر المقدمة للطفل بسيطة خالية من المفردات الصعبة أو غير المألوفة، لأن مثل هذه المفردات ستقدم إشكالات تقف حائلا بين إدراك الطفل والسبيل إلى فهمها، والطفل ليس مؤهلا للتعامل مع معاجم اللغة ليستشيرها"[٤]

---

(١) المرجع في أدب الطفل، محمود حسن إسماعيل، ص ١٠٥.

(٢) الأدب والطفل، محمد أحمد حمدون ص ٩٩، العدد ٢١، رسالة الخليج العربي- السعودية ١٩٨٧م.

(٣) النبي، جبران خليل جبران، ص ١٦، ترجمة موازية للنصين الإنجليزي والعربي: د. ثروت عكاشة، الطبعة التاسعة، دار الشروق ٢٠٠٠م.

(٤) دراسات في أدب الطفل ونصوصه، د. حسام

ويمكن إجمال أهمية اللغة في أدب الطفل في أنها تقوم بتنمية المهارات الآتية لديه:[١]

أ- تنمية مهارات القراءة.

ب- تنمية مهارات الكتابة.

ت- تنمية مهارات الاستماع.

ث- تنمية مهارات التحدث.

وهذه المهارات الحاصلة من جهة اللغة فقط كونها إحدى العناصر والقيم الفنية في أدب الأطفال، تمكِّن الطفل من التواصل مع الآخر، وتعطيه كذلك القدرة على المطالعة والقراءة، وتساعده على التفرغ لهضم ما وراءها، واستكناه ما يقرأ من نصوص، سواء أكانت أدبية أم علمية أم غير ذلك، لأنها لغة ذات قدرة على استيعاب المحتوى، مهما كان ذلك المحتوى، فليس ثمةَ قصورٌ في لغة وسعت كتاب الله بألفاظه ومقاصده، فلله دره: "حافظ إبراهيم" حين أكد ذلك بقوله على لسان اللغة:[٢] (الطويل)

وَسِعتُ كتابَ الله لفظا وغاية

وما ضقت عن آيٍ به وعظاتِ

وهذه قضية ذات أهمية كبيرة، لعلاقتها الوثيقة بالهوية العربية والدينية، وقد تعالت أصوات مثقفة كثيرة بمناشدة المؤسسات المعنية بضرورة تعريب العلوم، وليس ذلك إلا لوعي هؤلاء المثقفين بقدرات اللغة العربية وإمكاناتها اللامحدودة، وتفوقها على غيرها من اللغات في جوانبَ عديدةٍ تؤهلها للقيادة العلمية والثقافية؛ فالبحث عن الهوية يبدأ بالحفاظ على اللغة من الضياع، بل بالاهتمام بها والأخذ بيدها لفرض سيادتها وبسط نفوذها الأدبي على غيرها من اللغات الأخرى.

وشاعرتنا تنزِع منزَعا أصيلا جعلها تعي قضايا اللغة، وتدرك خطورة التهاون في شأنها، فهي لا تتناسب في لغتها مع المتلقي/ الطفل بقصد الترويج الأدبي والتحلُّق حول إبداعها كغاية تنصرف لها همتها، بل نجدها دائما حريصة على سلامة اللغة، وسلامة البِنى العروضية، مع المحافظة على متانة الأسلوب والبعد به عن الركاكة التي تُسقط حيوية اللغة وحركتها الفاعلة في نفس المتلقي؛ فشعر الأطفال لديها سهل الأسلوب واضح الألفاظ والعبارات، لكنه قوي البناء والتركيب، ولم تكن بساطة الموضوع مركبا لابتذال اللغة فيه؛ ومن ملامح ذلك في شعرها قولها في نشيد بعنوان: "قطتي":[٣] (المتدارك)

وتروح وتغدو في زَهْوٍ

كغزال البِيد أو الجَملِ

محمد علم، ص ٥١،٥٢.

(١) ينظر: أدب الأطفال وأثره في تكوين شخصياتهم، داود بورقيبة ص ٩٩و١٠٠، مجلة دراسات، العدد التاسع عشر- الجزائر ٢٠١٢م.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم: ٣١٤/١، تحقيق/ أحمد أمين، وأحمد الزيني، وإبراهيم الإبياري، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)- دار الكتب المصرية ٢٠١٨م.

(٣) أناشيد الطفولة ص ١٢.

وتُعاند في كِبر حينا
وتعود إلينا في جَذَلِ
وتخاصم في عُتْبٍ يُبكي
وتصوغ مُواءً كالجُمَلِ
وتُعابِثُ مَن يأتي ضيفا
بحنينٍ يَسْبي كالغزلِ
إن غابت يوما أو غبنا
فتعود لتسرفَ في القُبَلِ

هنا لابد من الوقوف مع اللغة في ألفاظها وتراكيبها وقوفا يبين قوتها وجزالتها، واشتمال الأبيات على كثير من المفردات التي تضاف إلى رصيد الطفل، مثل: (تروح- تغدو- زهو- البيد- جَذَل- عُتب- تصوغ- مواء- تعابث- يسبي- الغزل- تسرف)، لنأخذ من ذلك دلالة قوية على أن التناسب ليس معناه التسافلَ والانحطاط الذي لا يضيف شيئا إلى المخزون اللغوي للطفل الذي اكتسبه من أبويه أو أقرانه، ثم إن بعض التراكيب داخل النص لتدل على ذلك أيضا؛ فقولها: (وتعاند في كبر حينا- وتعابث... بحنين يسبي كالغزل)، وهذا ضروري بالقدر الذي يؤدي إلى تحقيق الإضافة اللغوية، لأنه "لا يصح الاعتماد على قاموس الطفل اللغوي وحده، لأن للأطفال – إلى جانب قاموسهم اللغوي- قاموسا إدراكيا، وهو يعني قدرة الأطفال على فهم الكلمات والتعابير الأخرى، من خارج قاموسهم اللغوي الذي يتحدثون..."[١]

الطفولة مراحل خاضعة لوجهات نظر الباحثين؛ لكنها تبقى في تقسيمها معبرة عن تطور الفكر وتفتح الوعي وطول المدى المنظور في عقل الطفل، ومن ثم يمكن أن يبين مستوياتها التقسيم الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الواقعية والخيال المحدود، وتبدأ من سن الثالثة، وتنتهي في الخامسة تقريبا.

المرحلة الثانية: مرحلة الخيال المنطلق، وتبدأ مع السادسة حتى الثامنة.

المرحلة الثالثة: مرحلة البطولة، والاهتمام بالحقائق نتيجة تطور الفكر لدى الطفل، وحب المهارة والمنافسة، والإعجاب بالأبطال المغامرين، وهي ما بين التاسعة والثانية عشرة.

المرحلة الرابعة: وتقابل مرحلة المراهقة، وهي ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة.[٢]

ويمكن أن يُعترض على هذا التقسيم لامتداد مرحلة الطفولة إلى سن الثامنة عشرة؛ وهو اعتراض في محله؛ إذ النظر إلى العمر في تحديد مفهوم الطفولة أمر غير دقيق، لأن الطفولة ترتبط بدور الطفل وعلاقاته واهتماماته وممارساته داخل الأسرة والوسط الذي يعيش فيه، وهذا يختلف باختلاف البلدان والثقافات والمجتمعات.

ونعود إلى قضية التناسب اللغوي في شعر "نوال مهنى"، لنعرج من خلالها على قضية ذات صلة، وهي تساهل بعض الكتاب في مسألة اللغة، والهبوط بها إلى اللهجة العامية

---

(١) المرجع في أدب الأطفال ص ٧٠.

(٢) ينظر: المرجع في أدب الأطفال: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨.

أحيانا، ظنا منه أنه يحقق التناسب المطلوب، وتعللا بأن الفصحى تستعصي على الناشئة فهما واستيعابا، والحقيقة أنهم بذلك يغلقون أمام الطفل آفاق المعرفة، ويُبقونه منكفئا على لهجته العامية، محصورا في إطارها.. ويمكن القول بأن المنادين بالعامية في أدب الأطفال لم يعد لهم وجود، ويبقى فريقان: أحدهما ينتصر للفصحى وحدها على أنها سبيل الارتفاع بذوق الطفل، والآخر يفضل الفصحى المطعمة ببعض المأثورات الشعبية والطرائف[١]، ولا غرو أن ننحاز إلى دعاة الفصحى لما لها من أهمية كبيرة في تعميق الجوانب الإبداعية والمعرفية والروحية لدى الطفل، "إن مأساة الطفل العربي المعاصر، كونه في سني حياته الأولى يتعرض للعامية، ويتعرف على مفرداتها، ويتقن تراكيبها وقواعدها، حتى إذا ذهب إلى المدرسة وجد أن عليه أن يطلب المعرفة بغير اللغة التي يتقنها"[٢]

مما سبق يمكن القول بأن المستوى اللغوي لشعر الأطفال عند شاعرة الوادي، يداعب أطفال المراحل الثلاثة الأولى، ولا يرتقي فوق مستويات إدراكهم إلا بقدر ما يتطلبه العمل الأدبي، وما ينشده النقاد في النص الشعري من ضرورة قيامه بالتربية اللغوية للطفل، ولعلها تهبط إلى مستوى لغوي لا يحتاج إلى بيان أو تفسير مراعاة للمخاطب/ الطفل، فعلى سبيل المثال تقول شاعرة الوادي في "القط والطفل":[٣] (المتقارب)

أنا الطفل يحيى وذا صاحبي
قُطَيْطٌ لطيف يُرى جانبي
يموء ويلعب في صحبتي
ويجلس بالباب كالحاجبِ
ويقفز حينا على مكتبي
أثور وأعبس كالغاضبِ
فينزل في خفّةٍ صامتا
وينظر في رقةِ العاتبِ
ويُومِي بطرْفٍ كمَن يشتكي
فأحنو عليه وذا واجبي

نرى من خلال هذه النصوص قدرة الشاعرة على استخدام اللغة السهلة التي تضاهي العامية في إمكانية فهم الطفل لها دون عناء، فتتحقق عناصر الانقرائية في النص التي تتوقف على أسلوب الكتابة الجيد الذي لا يكون أصعب على القارئ مما يجب، ولا أسهل عليه مما يجب لكي يفهمه، لأنه إن كان أصعب ثبط عزيمته بالإحباط، وإن كان أسهل ضيع وقته، ودفع به إلى الملل[٤]، ولا يخفى على كل ناقد أن

---

(١) الأدب والطفل ص ١١٣.

(٢) لغة الطفل والهوية الوطنية، فضيلة صديق، ص ٦٧، ٦٨، حوليات التراث العدد السادس- جامعة مستغانم ٢٠٠٦م.

(٣) ديوان أغاني الطفولة ص ١٥.

(٤) ينظر: انقرائية اللغة المقدمة للطفل، فتح الباب عبد الحليم سيد ص ١٦، تكنولوجيا التعليم، العدد الرابع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- المركز العربي للتقنيات التربوية ٢٠١٢م.

السهولة لا تكون من جهة اللغة فحسب، بل من جهة التركيب والمعنى كذلك.

ومن النصوص التي ترتفع فيها الشاعرة باللغة لتصبح أكثر عمقا وأبعد دلالة، قولها في: "هيا بنا لنغني":[١] (مجزوء الرمل)

أيها الأطيارُ هيّا
ردِّدِي اللحنَ شجِيّا
والثُمي الزهر نديا
في حبور ودلالْ
كـلنـا يبـغي الكـمـالْ
والصَّبا تهفو رشيقةْ
حُرَّةَ الخفْقِ طليقةْ
في غلالاتٍ رقيقةْ
فيها إبداعُ الخيالْ
كـلنـا يبـغي الكـمـالْ

ومهما كانت هذه اللغة فلا يمكن القول بأنها لا تناسب الأطفال؛ لأن الطفولة ليست سنة واحدة، بل هي مرحلة ممتدة كما سلف توضيحه، فما لا يناسب الطفل في مرحلة عمرية معينة من هذه النصوص، يناسبه في مرحلة أخرى، ولعل شاعرتنا تتقصد هذا التنوع في مستويات اللغة، دون إسفاف أو تعقيد، بل تنزل منزلة متوسطة لا تُبعدها عن التناسبية التي تعد العنصر الفاعل في استجابة الطفل المتلقي، مع الإيقاع الداخلي والخارجي: "إن إيقاع الكلم اليسير البسيط، مع إيقاع النغم في الشعر والنثر، مسألة مهمة في استجابة الطفل المتلقي للنص، وإذا توافق ذلك مع لغة سهلة فصيحة تميل إلى الإفهام والإيجاز، ومضمون بنائي غير ساذَج مما يحقق النموذج المثال وَفقا لمعايير كتابة النص الأدبي للأطفال"[٢]

المبحث الثاني: توظيف الضمائر:

للضمير أهمية كبيرة في الدراسات النحوية، وله أهمية كذلك في الدراسات الأدبية النصية، وقد يكون بارزا أو مستترا، والبارز منه متصلا أو منفصلا، سواء أكان للخطاب أو الغيبة أو التكلم، ولكل نوع أهميته الخاصة في الكلام، يؤدي في سياقه ما لا يؤديه غيره من دلائل ومعان تنحدر من أصول نحوية سليمة في المقام الأول، وصياغة أدبية معبرة عما يتقصده الكاتب في المقام الثاني.

وليس من شك في أن الطفل يحتاج إلى صياغة لاقطة لشعوره وانتباهه، تستقطبه وتستميله منذ البداية، قبل أن يستشعر الملل فينصرف قلبا وقالَبا عن اللغة الموجهة إليه لافتقادها عناصر التأثير والتشويق، التي يكمن جانب كبير منها في توظيف الضمير وجعله ينتقل بالطفل إلى عالم الفن المثير بآلياته وتشكيلاته المختلفة، لإحساسه بأنه موضع العناية ومبتغى الرعاية.

ولذلك فإنه من المهم استخدام الضمائر التي تعطي الطفل أريحية مع النص، وتمنحه انسجاما مع بنيته التركيبية والدلالية، وهو ما نلحظه في كثرة استخدام شاعرة الوادي للضمائر

---

(١) ديوان أغاني الطفولة ص ٥.

(٢) في أدب الطفل المعاصر: قضاياه واتجاهاته ونقده، د/أحمد زلط ص ٢٠، دار هبة النيل العربية- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

الوجودية/ ضمائر الحضور، وإقلالها من استخدام ضمائر الغيبة، وخاصة ضمير التكلم المفرد، فنجد أن (ياء المتكلم) و (نا المتكلمين) والضمير (أنا) المنفصل أكثر حضورا في شعرها من الضمائر الأخرى، ومن أمثلة ذلك، في قصيدتها: "يا مصر يا أمي"[١] تقول: (مشطور البسيط)

يا مصرُ يا أمي أهواك يا حبي
يا جنةَ الدنيا قد صاغها ربي

وتأتي ياء التكلم في هذا المقام لتعطي الطفل إحساسا بقربه الشديد من وطنه، وتوطد علاقته به؛ فيناديه مثلما ينادي أمه التي ولدته: (يا أمي)، فهي ليست أما لغيره، لا ينازعه فيها أحد، وهذا بدوره يلقي بالتبعة والمسؤولية على عاتقه، لأن فيها دلالة على الملكية، ومن يملك شيئا لا يعبث به، ولا يضيعه، وهذا ما يتأكد من خلال ياءات التكلم الأخرى في القصيدة، ولكن حين جاءت الشاعرة لتتحدث عن معالم مصر الخالدة قالت:

أهرامنا الكبرى من سالف العهدِ

فأتت بنا المتكلمين، لأن الأهرام معلم أثري عام يستمد قيمته من قيمة الوطن، ويعد الافتخار به افتخارا بالوطن، ولا يمثل قيمة حقيقية في نفس كل مصري إلا من هذه الزاوية، بخلاف الوطن الذي يعد قيمة كبرى قائمة بذاتها، ينبغي أن توجد في قلب كل واحد من أبنائه على حدة.

وحين تُنطق الحيوانات والطيور لأخذ العبرة والحكمة، أو بث المرح والدعابة، تجعل الحيوان يتكلم عن نفسه، لتخلق جوا أليفا مرحا لدى الطفل، ويحدث الاندماج بين المتلقي/ الطفل والحيوان الناطق، ليتخيل الطفل أنه ليس هو الذي يقوم بالإنشاد، بل ذلك الحيوان أو الطائر، فتصبح القراءة والإنشاد حينئذ بالنسبة للطفل عملا غير مجهد، كأن هناك من يُسمعه أو ينشد له، فتنساب الكلمات على فم الطفل دون عناء، وتترك وقعها في نفسه، وتحقق هدفها التربوي، ويسهل حفظها عليه، وهذا ما نجده في "نشيد البلبل":[٢] (المتقارب)

أنا بلبلُ الروضِ أهوَى العلاءْ
أطير وأعلو أجوب الفضاء
أحب الرياضة كل صباحْ
صغيرٌ وأبدو قويَّ الجناحْ
لأني نشيط أحب العملْ
فجسمي سليم وكلي أملْ...

فالضمير (أنا) أول كلمة ينطق بها الطفل ذو شظايا دلالية عديدة، أهمها إحساس الطفل بأن له قيمة عظيمة في هذا الوجود، فألف المد التي ينتهي بها الضمير (أنا) يترافق نطقُها مع رفع الرأس المصاحب لحس الشموخ والاستعلاء عند الطفل، وإحساسه بذاته[٣].

---

(١) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٦.

(٢) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٠.

(٣) ينظر: الحرف العربي والشخصية العربية، حسن

وتكرار ضمائر الوجود البارز (أنا...) والمستتر (أطير وأعلو...)، وياء المتكلم (لأني- فجسمي)، تمنح الطفل الراحة لاندماجه في عالم آخر من عوالم الحياة، وتعطيه إحساسا بالمسئولية؛ لأنها تكثر فيما يجب على الطفل القيام به بنفسه، أي ما هو مسئولية فردية ينبغي على الطفل القيام بها، وليس مسئولية جماعية، ومثله في "الكلب الأمين":[١] (مجزوء الرمل)

إنني كلب أمينْ مذهبي حب الوفاءِ
مخلص في كل وقتي حافظ للأصدقاءِ
أحرس البيت سليما والزرابي في الخلاءِ
إن رأيتُ اللصَّ ليلا جاء يسطو في الخفاءِ

فالطفل وهو ينشد بالضمير الدال عليه يستشعر مسئولية، تجعله يتمثل نفسه متخلقا بهذه الأخلاق المثلى التي جاءت في النص، فيكون ذلك أبلغ وأعمق تأثيرا في نفسه.

وهذا هو الحال في كل ما من شأنه أن يخاطب الطفل خطابا فرديا خاصا، يعمل على تأكيد هُويته وتحقيق قيم ذاتية لديه، وتنمية الرقابة الخاصة والعواطف الإنسانية في نفسه، ولذلك يكثر أيضا استخدام هذه الضمائر في أناشيد المناجاة، والتي يخاطب فيها الأب والأم، وهذا ما يمكن قراءته في مطلع: "يا إلهي"[٢] (مجزوء الرمل)

يا إلهي يا إلهي يا معينا للأنامْ

ومطلع: "دعاء طفل":[٣] (مشطور البسيط)

رباه يا ربي يا منبت الحبوفي مطلع:

" أفديك يا أمي":[٤] (مشطور البسيط)

أماه أدعوكِ يا حبة القلبِ

ومطلع: "بابا العزيز":[٥] (مجزوء الكامل)

بابا العزيزُ أحبُّهُ أحيا سعيدا قربَهُ

وهذه الأناشيد تسير على هذا النمط في توظيف الضمائر، مما يكسب الطفل قيمة وجودية، ويرتقي بمشاعره وعواطفه، ويجعله فاعلا حاضرا بجسده وشعوره، يقظ الروح والضمير.

وأحيانا يكون ضمير الجمع أو صوت الجماعة أولى استخداما وأهم، بل قد لا يسد مسده الضمير الفردي، حين يكون من الواجب التعبير عن قضية عامة، كما في: " نداء الطفولة" الذي يناشد به أطفال العراق ضمير العالم:[٦] (مجزوء الرمل)

نحن أبناء الحياةْ نحن أحباب الإلهْ

فالمأساة التي يتعرض لها الأطفال في الحروب، ليست مأساة فردية تخص طفلا واحدا، وإنما هي مأساة عامة، تحتاج إلى الصوت الجماعي لينقل حجم الكارثة، ويتكافأ

العباس ص ١٣٤ بتصرف، دار أستانة- دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

(١) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٥، ٣٦.

(٢) ديوان أغاني الطفولة، نوال مهنى، ص ١١، مكتبة الآداب- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٣) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٩.

(٤) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٧.

(٥) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٣٩.

(٦) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٨.

مع ضخامة الرزء، فيقرع الضمير الإنساني بقوة، ويكون أكثر تأثيرا وذيوعا:

أي ذنب أو جريرةْ للبراءات الصغيرةْ
أبعدوا الأشباح عنا حاكموا كل الجناةْ

وإذا كانت أشعار الطفولة أناشيدَ تُغنَّى، يتراقص بها الأطفال في مرح، فإن ذلك مدعاة لاستخدام ضمائر الجمع في أناشيد وطنية أخرى، ويكون ذلك تنوعا في الأداء، وسخاء في طريقة العرض، لا تتخلف في أداء دورها التوعوي، كما في "مصر الحبيبة":[1] (مجزوء الكامل)

مصرُ الحبيبةُ أُمُّنا بيدِ الحنانِ تضمُّنا
هي عِزُّنا، هي مجدنا نحمي حماها كلُّنا

وكذلك فإن التنوع باستخدام ضمير الجمع، ينطلق من ركيزة أساسية في شعر الأطفال، تعمل على محو مظاهر التمييز بينهم، وتأكيد الإخاء والوئام، وتقوية الروابط والصلات الاجتماعية، حتى لا يصاب الطفل بحب العزلة والانطواء.

والفرق بين أمومة الوطن والأمومة المباشرة في النص السابق ظاهر في استخدام ضمير الجمع مع الوطن، واستخدام الضمير الفردي مع الأم التي ولدت، وذلك لأن الحاجة هنا إلى تشكيل وعي الجماعة، وبلورة قيم وطنية عامة، تتمثل في إدراك مكونات الوطن، وقابلية تمدده واتساعه ليكون مظلة لجميع الأطياف، يضم كل أبنائه بحنان، فتتعمق في نفوسهم معاني الأخوة الصادقة والتعايش والمواطنة الصالحة، والتضحية والفداء التي تنطلق في مسار واحد، لتحقيق غاية واحدة، وبهذه الضمائر أيضا يتم التغلب على مشكلة تعاظم (الأنا) الفردية في نفس الطفل، وتربيته على حب العطاء والإحساس بالآخر والسخاء الإنساني.

ويجتمع أكثر من ضمير في أداء المعنى وتحقيق الغاية، وهذا حينما يكون هناك أكثر من صوت في النص، أو يكون هناك حوار بين طفلين، مثل: "في المكتبة":[2] (المتقارب)

صديقي تعالَ إلى المكتبةْ
نسيرُ إليها على مقربةْ
نطالعُ فيها كتابا مفيدا
وعلما سنعلو به مرتبةْ

فالضمائر في صديقي/ ياء المتكلم، وفي تعال/أنت، وفي نسير ونطالع وسنعلو/نحن أكدت تفاعلَ الطفل مع أصدقائه وتناغمه مع أقرانه.

ينبغي أن يكون الطفل حاضرا في النص بكل جوارحه وأحاسيسه، متعايشا معه، وهذا يحتم توظيفا مناسبا للضمير النحوي، يجعل الطفل متفاعلا، متكلما أو محاورا، لا متلقيا للكلام بصورة تلقينية منفرة، ولهذا حرصت "شاعرة الوادي" على اندغام الطفل في عالمها الشعري، وتطويق مشاعره بلغة جذابة تعي قدرات الطفل وميوله، فراحت تلقي بيديه زمام القيادة مرة من خلال الضمير الفردي، وتدرجه بين أقرانه مرة أخرى من خلال ضمير الجمع،

(١) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٤٥.

(٢) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٢٩.

مما يُسهم في تشكيل الوعي الفردي عنده، وينمي الوعي الجمعي لديه في مجتمعه الخاص باستخدام ضمائر التكلم الوجودية، "ويبقى ضمير المتكلم في اللغة العربية أعلى من بقية الضمائر الأخرى شكلا ومحتوى، وكيف لا وهو الفاعل والمؤثر والمعانق للسماء، فطاقته كامنة في الإنسان صاحب الأمر والنهي وإرادة الأمر"[١].

وتجعل الشاعرة من الطفل مخاطبا مفكرا باستخدام ضمير الخطاب، كما في: "النخل والبلح":[٢] (مجزوء الرمل)

انظر النخلَ تراهُ يتباهي بالجريدْ

ففعل الأمر (انظر) فيه ضمير مستتر يتجه به النص إلى كل طفل أو إلى نفسه تجريدا، فالطفل حينما يشدو بها يتخيل أن أمامه شخصا يحادثه، فيزداد انتباهه ونشاطه، ويتمكن المعنى في نفسه وضميره.

أما حينما يكون الشعر في ثوب قصة أو وصف سردي[٣]، تكون ضمائر الغيبة أو التعبير بالأسماء الظاهرة أكثر ملاءمة للفكرة، كما في: "صائد الطيور":[٤] (الرمل)

يزرع الحقل شِباكا وحِبالا
ثم يرمي الحَبَّ ما بين الشُّروخْ
ثم يعدو مسرعا في خِلسة
تاركا أقفاصَه في قلبِ كُوخْ
كامِناً حتى يفاجئَ صيدَهُ
في شِراكٍ قد هوتْ فيها الفروخْ
وصغارُ الطيرِ يعلو صوتُها
كلُّ فرْخٍ كاد من رعبٍ يدوخْ...

فضمائر الغيبة المستترة في الفعل المضارع: (يزرع- يرمي- يعدو- يفاجئ- يدوخ)، وفي اسم الفاعل: (مسرعا- تاركا- كامنا)، تعكس كلُّها نسقا سرديا وأسلوبا شعريا وصفيا، تنقل الشاعرة من خلاله تجارب أخرى للطفل، ليتعرف على عوالمَ مختلفةٍ في الحياة، ويرى حركة الحياة والأحياء واقعا أمام ناظريه.

وهذا هو الحال في كثير من القصائد التي اعتمدت فيها الشاعرة هذه البنية منهجا لقصيدة الطفل، لأن النمط الحكائي يجذب انتباه الطفل، ويستثير مكامن فضوله، وسيأتي الحديث عنه في المبحث التالي.

ومن خلال هذا التنوع في توظيف الضمير يتبين قوة النص الشعري الموجه للطفل عند "شاعرة الوادي"، وتتضح مقدرتها الفنية على الاستحواذ على مشاعر الطفل، وتوجيهه إلى مدارج الكمال والنبوغ، وتحفيز طاقاته العقلية، لإكسابه ذكاءات متعددة، ورياضة روحه في مجالات فكرية متنوعة.

---

(١) سيميائية الضمير (أنا) في الدلالات وبناء التأويل، ابن السائح الأخضر، ص ١٣٢، مجلة السماط- البحرين ٢٠١٤م.

(٢) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٢٣.

(٣) ينظر: دراسات في أدب الطفل ونصوصه ص ٦٥.

(٤) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٢.

المبحث الثالث: البنية القصصية:

القصة الشعرية تتداخل فيها خصائص الشعر وخصائص القصة، فهي مزيج بين خصائصهما معا، ولكن هذا لا يعني فُقدانَ الشعر طبيعتَه، بل يظل الشعر هو أساسَ بناء هذا العمل الفني، الذي تتعالق فيه عناصرُ قصصيةٌ تبعث فيه الحيوية، وتجعله أكثر إثارة وجاذبية، وهي بذلك أنسب لطبيعة الطفل التي تميل إلى القص والحوار وتتبع أنماط الشخصيات وحركاتها.

والقصة الشعرية وَفق هذا المفهوم تعد فنا أصيلا في الأدب العربي منذ عصوره الأولى، ولكن لا يمكن مقارنتها بالقصص الشعرية في آداب الأمم الأخرى التي وصلت عندها إلى حد الملاحم الطويلة؛ لأن العرب بطبيعتهم لم يكونوا يميلون إلى القص والإطالة والبسط، يقول د. زكي مبارك: "والواقع أن العرب بفطرتهم لم يكونوا يميلون إلى القص المعقد الذي وُجد كثير منه فيما أُثر عن اليونان والقدماء، والذي ذاع عند الإنجليز والروس والفرنسيين والألمان، ولا عيب في أن تخلو آثار العرب من القصص الطويلة، فإن الفن الصحيح يرتكز أولا على الفطرة، ولم يكن العرب مفطورين على القصة تُقرأ في أيامٍ وأسابيعَ.."[١]

والطفل يلائمه الإيجاز، والبعد عن الصنعة المتقنة الموجودة في القصة النثرية الفنية الحديثة، التي يكثف فيها القاصُّ عناصرها، فيزيد في حبكتها، ويكثر من المفاجآت والعقد التي تؤدي دورها في الإثارة والتشويق واحتدام الصراع بين الشخصيات، ليبقى كل هذا مرهونا بقدرات الطفل، لتكون الغاية الأهم هي متابعة الحدث والصراع بين الشخصيات، وانتظار الحوار الذي يكشف عن جوانب الشخصية، ويضيء أبعاد العمل، وينير مغزاه؛ إذ يعد من أهم عناصر القصة، حيث يجري بين شخصيات تجعل الطفل يعيش بينها بكل جوارحه، وبذلك يندفع عنه الملل، وتتكسر الرتابة، "والطفل لا يدرك هذا الحوار على نحو رمزي كما يفهمه الراشدون، بل على أنه واقع حدث ويمكن أن يحدث، إنه يغدو عنصرا من عناصر فاعلية الطفل وحيويته في الوقت نفسه"[٢].

ونماذج القصة الشعرية للأطفال عند "شاعرة الوادي" كثيرة، مما يدل على وعيها بحاجة الطفل الفنية، وإدراكها أهميتها بالنسبة له؛ فمنها في ديوانها الأول: "أغاني الطفولة" نجد: (الببغاء والعش)[٣]، و(الطفل والقط)[٤]،

---

(١) النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك: ١/ ٢٠٤، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، الطبعة الثانية (د.ت).

(٢) أسئلة أدب الطفل، عبد الله أبو هيف ص ٧٦، الموقف الأدبي، العدد ١٢٧- اتحاد الكتاب العرب ١٩٨١م.

(٣) أغاني الطفولة: ص ٦.

(٤) أغاني الطفولة: ص ١٥.

و(عصفورة خضراء)[١]، و(بين دجاجتين)[٢]، وفي ديوانها الثاني: "أناشيد الطفولة": (السمكة الصغيرة)[٣]، و(البطة والبحيرة)[٤]، و(صائد الطيور)[٥]، و(حكاية عصفورة)[٦]، وفي ديوانها الثالث: "أهازيج الطفولة" نجد: (الغراب والعندليب)[٧]، و(سباق الإوز)[٨]، و(أرنوب والثعلب)[٩]، و(العصفور والصياد)[١٠].

فنجدها في: (الغراب والعند ليب)[١١] التي ابتدأتها بقولها: (مجزوء الكامل)

وقــف الغــرابُ يُصْــغِي لصــوتِ

تقص على الأطفال حكاية الغراب الذي طرب لصوت العندليب حينما استمع إليه، فأراد أن يقلده حتى يشنف آذان الوادي بأسره:

هذا الغناء يروقني

وأنا به جِدٌّ طروبْ

ولسوف أشدو مثلهُ

لأشنف الوادي الرحيبْ

ويرفع الغراب عقيرته بالغناء، فتنفر الطيور من قبحه ونشازه:

قالت: سفيهٌ أحمقٌ

قد جاء بالفعل المريبْ

ما للغِنا خُلِقَ الغرابُ

وأمرُه حقاً عجيبْ

وتأتي نهاية القصة لتكشف عن المغزى والقيمة التربوية التي تقصد الشاعرة تقديمها للأطفال، في قولها حكاية عن هذا الغراب الذي أقحم نفسه فيما ليس له، وأخذ دورا غير دوره:

صمَتَ الغراب وقد بدا

في وجهه بعضُ الشحوبْ

وبدا حزينا نادما

وبَقَى[١٢]وحيدا كالغريبْ

مَن ليس يعرفُ قدرَهُ

أو دورَه حتماً يخيبْ

شخصيات القصة من الطيور والحيوانات التي هي قريبة إلى عالم الطفولة؛ فالأطفال يحبون الحيوانات، ويتمتعون بالنظر إليها، ومن ثم فإنهم يكونون في شغف وتشوُّف لأي قصة تتضمن شخصيات حيوانية، يدور بينها حوار، سواء أكانت مقروءة أو منظورة.

وقد حرَصت الشاعرة على أن تكون قصصها قصيرة أو متوسطة الطول، ملاءمةً لحالة الطفل النفسية، "لأن الإسهاب أو التطويل في القصة قد يصرف الطفل عن متابعتها،

---

(١) أغاني الطفولة: ص ٢٢.
(٢) أغاني الطفولة: ص ٣٠.
(٣) أناشيد الطفولة: ص ١٠.
(٤) أناشيد الطفولة: ص ١٩.
(٥) أناشيد الطفولة: ص ٣٢.
(٦) أناشيد الطفولة: ص ٤٣.
(٧) أهازيج الطفولة: ص ١٦.
(٨) أهازيج الطفولة: ص ٢٤.
(٩) أهازيج الطفولة: ص ٣٥.
(١٠) أهازيج الطفولة: ص ٤٧.
(١١) أهازيج الطفولة: ص ١٦.

(١٢) هكذا في الديوان بالألف المقصورة، والفعل: بَقِيَ يبقى، ويمكن حمله على لغة طيء؛ ففيها: بَقَى يَبْقى وكذلك لغتهم في كل ياء انكسر ما قبلها يجعلونها ألفاً نحو بَقَى ورَضَى وفَنَى. (ينظر: لسان العرب: مادة بقي).

والوقوف على ما تنطوي عليه من عبرة"[١]، فتقع القصة السابقة في ستة عشر بيتا، وتعد متوسطة الطول، فهناك قصص كثيرة أقل منها طولا، وقصص أخرى تتجاوز هذا العدد من الأبيات، وهي: "القط والطفل" في عشرين بيتا، و"بين دجاجتين" في اثنين وعشرين بيتا، و"حكاية عصفورة" في ثلاثة وعشرين بيتا، وتعد قصة "أرنوب والثعلب"[٢] أطولها على الإطلاق، حيث جاءت في ثمانية وعشرين بيتا.

وفي القصة الأخيرة (أرنوب والثعلب) نجد الدال/الثعلب قد استخدمه كثير من الشعراء، ومنهم "أحمد شوقي" والفكرة الرئيسة في ذلك تقوم على توظيف صفة المكر والخداع في هذا الحيوان، فقد اعتنت "نوال مهنى" بذلك أيضا عن طريق إفراد ثمانية وعشرين بيتا لهذه الحكاية، هدفت من خلالها إلى بيان مدى شيوع هذه الصفة الثعلبية– وأعني بها المكر والخداع– في الحياة، وضرورة لفت الأنظار إليها وكشف أصحابها، بالتحذير منهم وتوضيح خطورتها، حتى يبرأ المجتمع من عواقبها الوخيمة"[٣]

وتأتي الشاعرة بالأرنب مع الثعلب بديلا عن (الديك) عند أحمد شوقي، وكلاهما رمز للشخصية المغرر بها، التي تقع ضحية المكر والخديعة، وفيها تقول:[٤] (مجزوء الرمل)

ذاتَ يومٍ كان أرنبْ في فناءِ الدارِ يلعبْ
ظلَّ يلهو في سرورٍ يأكل العشبَ ويشربْ
بعد حينٍ من نهارٍ مَرَّ عند البابِ ثعلبْ

وفي هذه المقدمة يمكن ملاحظة تصوير حالة الغفلة أو السذاجة التي يعيش فيها الأرنب، فهو حسن النية، يلهو ويأكل ويشرب غير مبال بما يحاك له.

ويمضي الثعلب في وضع خطته الماكرة، فيعرض الصلح على الأرنب، ويكلمه بلغة الصداقة ومنطق الأخوة، طالبا منه الدخول معه في سباق، ويلح في إقناعه بقوله:

حين تأتي يا صديقي
لا تُشِحْ عني وتغضبْ
سوف تلقاني وديعاً
فاقتنص عَرْضاً وجرِّبْ

ويدخل الأرنب في نوبة من التفكير العميق، فتصور الشاعرة حديث نفسه أو المونولوج الداخلي (Internal monologue) الذي يُظهر الأفكار الداخلية للشخصية، ويرسم مشاعرها الداخلية، فتقول:

فكر الأرنوبُ حتى
صار ذا وجه مقطَّبْ
هل يصونُ الوعدَ نَذْلٌ
أَدْمنَ الفتكَ وخَرَّبْ

---

(١) أدب الأطفال، د. فوزي سعد عيسى ص ٥٤، دار الوفاء – الإسكندرية– مصر ٢٠٠٦م.
(٢) أهازيج الطفولة: ص ٣٥.
(٣) ينظر: ديوان الأطفال في شعر أحمد شوقي، عبد المنعم عواد يوسف، مجلة التربية ص ٧٢، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٩م.
(٤) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٣٥.

كيف يُغريني نداءٌ
جاء في شكلٍ مهذبْ
بينما الداعي خبيثٌ
بات بالمكر مُلَقَّبْ
إنْ أتى للسطوِ يسعى
كَثَّفَ البحثَ ونَقَّبْ
ثم يدعوني صديقا
ما أرى من ذاك أعجبْ

وقد أجادت الشاعرة في تصوير مرحلة التفكير، التي بدأتها ببيان استغراق الثعلب في تفكير عميق حتى إنه لم يعد يدرك ما حوله، فصار وجهه عابسا مقطبا، و(حتى) الغائية هنا تدل على مسافة زمنية طويلة، أفردت لها الشاعرة خمسة أبيات، فدلت على حسن تقدير الموقف، وعدم التسرع في اتخاذ مثل هذا القرار المصيري مع خصم قد تبدل موقفه فجأة.

ولابد أن تكون نتيجة الريث والتأني وإعمال العقل هي الوصول إلى قرار صائب، فلم يندفع الأرنب تحت تأثير ما زيفه الثعلب من كلمات، وما طلا به شكله الظاهري من مغريات، فتنبه وأفاق من غفلته، وأوهمه بالدخول معه في السباق، وتركه يجري إلى مهلكه، بينما هو قد تباطأ ليراقب المشهد من بعيد:

بينما المغرور يمضي
هاله ظِلٌ مُحَدَّبْ
خلفَهُ وحْشٌ مُخِيفٌ
سنَّن النابَ وقَرَّبْ
فجأةً خارتْ قُواه
إذْ رأى الظُّفرَ المُحَدَّبْ
مَن أذى يوما ضعيفا
مِن قَوِيٍّ سوف يُغلبْ

وتتوافق هذه النهاية التراجيدية مع نهايات معهودة للمغرورين والمتكبرين والظالمين في أدب الأطفال خاصة، وهي نهاية مغلقة، تختلف عن بعض نهايات القصة النثرية التي تقدم للراشدين، إذ يُلتزم فيها أحيانا بمحاكاة الواقع في نهاياته المفتوحة وغير المحدودة، التي تستدعي خيال القارئ، وتفسح له المجال لمشاركة الكاتب في تصور النهاية، لأن الطفل في شغف لمعرفة هذه النهاية، وتلك لحظة يستغلها الكاتب في رفده بما تحمله النهاية من حكمة وعبرة وقيمة تربوية.

وفي قصيدة "سباق الإوز"[١] تلفت الشاعرة الأطفال إلى أهمية رياضة العوم من خلال قصة حوارية بين الأم وصغارها، فتقول: (مجزوء الرمل)

صاحت الأمُّ ونادتْ
بين أفراخِ الإوَزْ
اركضوا في الماء هيا
في نظام دون قفزْ
اسبحوا حولي ومثلي
تحرِزون اليومَ فوزْ
لا تخافوا يا صغاري
واجعلوا الإقدام رمزْ
أتقنوا العومَ تَصِحُّوا
قوةُ الأجسام عِزْ

ويتعالى صوت الطفولة فيها عن طريق تعبير الصغار عن رغبتهم في الأكل، والأم تجيبهم بكل حب:

---

(١) أهازيج الطفولة: ص ٢٤.

صاحتِ الأفراخُ: صوْصَوْ
نبتغي قمحا وأُرْزْ
نحن يا أماه جوعى
أحضري خسا وموزْ

قالت الأم: تعالَوْا
ههنا شجرات كرزْ
تحتها عُشْبٌ رطيبٌ
دونه حَبٌّ ولَوزْ
بعدها في الماء نعدو
في سباق للإوزْ

إن مثل هذه القصص الشعرية في دواوين "نوال مهنى" تحمل الطفل إلى آفاق رحبة من التواصل مع ما حوله في الكون، والاهتداء بنفسه إلى فهم أسرار الحياة والمخلوقات، ليتشكل لديه تيار أولي من الوعي والمعرفة، يمكنه من فهم صراع الحياة الأبدي، ولذلك فإن القصص الشعري يبقى نمطا فنيا متميزا بانسيابيته وعفويته وجاذبيته الفريدة، وهذه طبيعة قصص الأطفال عامة، حيث تتيح لهم "أن يطوفوا على أجنحة الخيال في شتى العوالم؛ قاب قوسين منهم، أو بعيدة مترامية، ويلتقون بأشخاص قد يشبهونهم، أو قد يسعدهم التشبيه بهم، ويتخطى الأطفال في قصصهم أبعاد الزمان وأبعاد المكان، فيجدون أنفسهم في يومهم هذا، أو يجدونها في عصور غابرة، أو عصور لم تأت بعد، ويقفون عند حوادثَ حدثت بالأمس أو قد تحدث غدا، أو قد لا تحدث مطلقا، ويتعرفون إلى قيم وأفكار وحقائق جديدة"[1].

وهذه القصص تراعي في المقام الأول الجانب النفسي للطفل الذي يستلزم العرض الهادئ، وتسليط الأضواء على كل ما يجلب له السرور والبهجة، ويعطيه القدرة على الانطلاق بأقدام ثابتة نحو العالم الخارجي، مخلفا مهدَه وعُشَّه الذي درج فيه، خطوة بخطوة.

(١) المرجع في أدب الأطفال: ص ١٢٠.

المبحث الرابع: التشويق الخيالي:

للشعر طبيعته الخاصة التي تعتمد على التصوير والخيال، أي ليس القصصي منه فحسب، لأن جملة الأهداف القصصية الأساسية تنداح في دائرة الأهداف العامة للشعر، وهذا من شأنه العناية بالصورة التي تعمل على تغذية خيال الطفل، وتفتيح مداركه.

"والخيال هو وضع الأشياء في علاقات جديدة، وهو سمة بارزة من سمات الأسلوب الأدبي؛ لأنه يصور العاطفة، أو ينقلها إلى السامع أو القارئ، ويبرز المعاني، ويلجأ إليه الأديب للإفصاح وحسن العرض، وقوة الإبانة والتصوير، ويرى القارئ والسامع الحقائق من ثنايا كل ذلك عن طريق خياله"[١]، فالشاعر يحوط صوره بخياله وحسه، ويمنحها رعايته التي تجعلها طريفة جذابة؛ فهو من أهم عناصر الشعر التي تظهر التفاوت في المقدرة الفنية بين الشعراء، فكلما كان الشاعر شديد الإحساس والتفاعل مع الحياة وأحداثها وكل ما فيها، متمكنا في الوقت ذاته من أدواته الفنية، استطاع أن ينقل التجربة نقلا خياليا مثيرا، بل إن الخيال "لا يتوقف عند حد الممارسة العملية للتجارب، ولكن الشاعر قد يكتب في موضوع لم يشهدْه، ومع هذا يكون ثريا بتصورات مصدرها خياله، ومحورها التفاعل مع العقل والوعي"[٢].

وما من شك في أن شعر الأطفال يحتاج إلى حس مرهف وخيال شفاف، يفرز الصور التي تتناغم مع طبيعة الطفل، وينتقي أجود العناصر في تشكيل الصورة، "لقد بات واضحا أن الطفل في عصرنا يحتاج إلى خطاب أدبي جديد، يناسب إيقاع العصر، ويستجيب لتحدياته؛ فلم يعد الطفل هو ذلك الساذَجَ الصغيرَ الذي تجذبه حكايات الجان والخرافات،...ولذلك فهو يحتاج إلى خطاب واقعي يحترم عقله الصغير المتفتح، ويستثير خياله الواعي، ويستجيب لطموحاته"[٣]

وكثير من هذه الغايات الخاصة بالخيال الشعري تتجسد في النماذج التي قدمتها "شاعرة الوادي" في دواوينها الثلاثة، فقد انطلقت مع الأطفال في أوديتهم الخاصة، وأبحرت معهم في سفنهم إلى عالم الخيال الفسيح.

وقد استعانت الشاعرة بأدوات الخيال اللغوية والمجازية، فرسمت صورا كلية بديعة، مثل صورة الطبيعة في "زهور الخمائل"[٤] (مجزوء الكامل)

بين الخمائلِ كمْ أرى زهرا جميلا باسما
أو بُرْعُماً في غَفْوِهِ حاكى وليدا نائما
والغصنُ مالَ مُهَلِّلاً حيَّى نسيما قادما
أوراقُه ذاتُ الندى خضراء تزهو دائما
وحفيفُه لمّا علا جابَ الرُّبى مترنّما
وبدا الفَراش مرقّشا للنور يهفو دائما
ذا جدولٌ مترقرِقٌ يسري شفيفا حالما

(١) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، د. عبد الله التطاوي، ص ٨، دار غريب– القاهرة ٢٠٠٢م.
(٢) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد: ص ٩و ١٠.
(٣) أدب الأطفال، د. فوزي عيسى: ص ٣٥٥.
(٤) ديوان أغاني الطفولة: ص ٣٣.

والطيرُ يشدو راقصا بالحُسْنِ صَبّا مُغرما
قد شاقه همسُ الشذى في خِلْسةٍ مُتَكَتِّما
حتى تناثرَ في المدى يغزو الفضا والأنجما

فالأزهار بين الخمائل باسمة جميلة، والبراعم الصغيرة مغمضة العينين، تشبه في غفوها الوليد الصغير، والغصن بأوراقه الخضراء يميل طربا وتَرحابا بالنسيم العليل الذي يلاطفه، ويعلو صوت حفيفه فيشنف آذان المكان كلِّه، وتتنقل الفراشات المرقشة فوق الأغصان فرحا بنور الصباح، وبين هذه الروضة المبهرة جدول رقراق صاف، وطيور تغني وترقص وسط هذه الأجواء البديعة، وقد سرت فيها أنفاس ذكية من شذى الطبيعة الذي عم الكون بأسره.

إنها لوحة فنية معبرة تبعث على التفاؤل والإقدام، وتقوض عروش التشاؤم والكسل في نفوس الأطفال، رسمتها ريشة المبدعة، وألفت بين عناصرها في تناغم وانسجام، ومكّنت كل حواس الطفل من التجاوب مع عناصرها: البصر، والسمع، واللمس، والشم، وقدمت صورة كلية ساحرة، "والفن الجميل هو الذي يولد هذا الأثر الساحر في النفس، والخيال الرائع هو الذي يستخدم الألوان والأشكال في نسق عجيب، ليظهر في صورة أزهى وأقوى من الطبيعة في ألوانها وأشكالها المنثورة هنا وهناك"(١).

وفي تضاعيف هذه الصورة المفعمة بالحركة والحيوية تستعين بالصور البلاغية، وخاصة التشبيهَ والاستعارة، في تكوين مشاهدها، وتلوين أجزائها المختلفة، فتعانقت هذه الصور الجزئية مع بعضها، لتشكل ببراعة مشهدا كونيا بديعا، استطاعت من خلاله نقل الطفل بخياله وشعوره إلى حيث الطبيعةُ بسحرها الخاص، وجمالها الفتان.

ومن أبدع الصور التي يمتزج فيها الحسي بالمعنوي، قولها في "وردة حمراء":(٢)

(مجزوء الرجز)

بديعةُ الرِّوَاءْ في لونها حنينْ
في صمتِها إباء وهمسُها أنينْ

فاللون فيه حنين، والصمت فيه إباء، والهمس أنين؛ فتدخل الكلمات في علاقات جديدة، وتخرجها عن معانيها الأولى، فتتماهى الأشياء، وتلتقي المحسوسات بالمعاني المجردة، التي عبّرت عن أحاسيس وعواطف شفيفة: الحنين، والإباء، والأنين، فأوجدت في نفس الطفل تعاطفا خاصا مع الطبيعة، واندماجا روحيا في عناصرها.

ومن الواضح أن من أبرز العناصر البلاغية في تكوين الصورة في شعر الأطفال عند "نوال مهنى": عنصر التشخيص الاستعاري، الذي يعمل على تحليق خيال الناشئة في فضاءات واسعة، ولعل محاولة

(١) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، د. علي علي صبح، ص ١٢٧، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) ديوان أغاني الطفولة ص ٢٣.

وصول الطفل إلى هذه المرحلة من الخيال المحلق، هي الهدف من وراء اهتمام وزارة التربية والتعليم بالنص الشعري عامة، واعتماد أناشيد الأطفال في مناهجهم التعليمية.

والتشخيص من الأدوات الأساسية في القصص الشعري للأطفال عند "شاعرة الوادي" -كما في كثير من أمثلة المبحث السابق- لأنها تحتاج فيه إلى خلع صفات الإنسان على الكائنات والأشياء، ولأن شعر الأطفال بحاجة إلى هذا النوع من الخيال، فقد راحت الشاعرة توظف هذه الأداة في شعرها توظيفا ممزوجا بما يحمل من قيم تربوية وجمالية، كقولها في "إشارة المرور":[١] (مجزوء الرجز)

ذا أحمرٌ تَراءَى يقولُ في جَسارهْ
هيا التزمْ وُقُوفاً لتمنعَ الخُسارهْ
والأصفرُ الكَنَاري يلوح بالإنارهْ
هيّا بنا استعدوا لنُظهرَ الشطارهْ
ذا أخضرٌ بديعٌ يقول يا أمارهْ
إلى الأمامِ سيروا لتعبروا الإشارهْ

وهذا ما دأب عليه الشعراء في كتابتهم للأطفال، كـ"أحمد شوقي" في ديوان الأطفال، و"أحمد فضل شبلول" في ديوانه: "أشجار الشارع أخواتي"[٢]، وهذا بخلاف الأناشيد الحماسية عند "توال مهنى"، وغيرها من الشعراء كـ "أحمد نجيب"[٣]، التي تعد ذات نبرة خطابية حماسية مباشرة، تعتمد على فخامة اللغة، وقوة النبر، وجهارة الإيقاع، في المقام الأول؛ فالقصص والحكايات، ووصف الطبيعة، تتخذ المجاز وأساليب البلاغة مادة لها تعكس من خلالها صورة الشخصيات والأحداث والمشاهد، والموضوعات الوطنية والأناشيد الحماسية تتميز بلغتها المباشرة التي تكاد تخلو من الخيال والتصوير البلاغي، والنمط الأول في مخاطبة الطفل يحتاج إلى نسج الصور التي تتناسب مع خيال الطفل، فيسلط الشاعر عدسته على موضع تركيز الطفل واهتمامه، دون إسفاف أو تحليق، فيجب "أن تكون الصورة الشعرية المستخدمة مناسبة لعالم الطفولة، بحيث تكون الصورة الشعرية واضحة في علاقاتها، غير مغرقة في مجازاتها الدلالية"[٤]

وموضوعات الشعر كثيرة، والأفكار التي تقدم للطفل متنوعة، ومن ثم فإن الشاعرة تستخدم الصورة الشعرية التي تسهم في تكوين خيال الطفل، وجعله أكثر خصوبة وثراء، كلما أتيح لها ذلك، ففي قصيدة بعنوان: "صباح الخير"[٥] مطلعها: (مجزوء الوافر)

صباحُ النورِ والخيرِ صباحٌ باسمُ الثَّغرِ

تصور طلوع الصباح، وظهور النور، وميلاد يوم جديد، فتجعل للصباح ثغرا باسما، ثم تشبه بريق شعاع الشمس بالألماس والذهب، فتقول:

---

(١) ديوان أناشيد الطفولة: ص ١٥.
(٢) ديوان "أشجار الشارع أخواتي" مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
(٣) ديوان شعر أحمد نجيب للأطفال والناشئين، تقديم د/ سمير سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م.
(٤) المرجع في أدب الأطفال: ص ١٠٤.
(٥) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٥.

كأن بريقَه مَزْجٌ من الألماس والتِّبرِ

وتتجول بعدستها في صفحة الصباح البهيجة، فتؤلف بين عناصر الطبيعة التي تناسقت وتكاملت مع نور الصباح، فتقول:

فهذا البُرْعُمُ الغافي

يُعَانِقُ يانعَ الزَّهْرِ

فَرَاشاتٌ مُلَوَّنَةٌ

تطوفُ بِعُودِهِ النضْرِ

لِهذا الجدولِ الصافي

خريرٌ رائعُ الأَثْرِ

بكل خميلة تهفو

أفانينا من العطرِ

فيبدو الكونُ في ثوبٍ

بهيجٍ مُمتعِ النظْرِ

وهي صورة بديعة أحاطتها الشاعرة برعايتها، ومزجتها بحسها وشعورها، وكررتها في أكثر من موضع، كما في قصيدتها السالفة الذكر: "زهور الخمائل".

وعناصر الصورة في هذه القصيدة وسابقتها تكاد تكون واحدة: (نور الصباح- الخمائل الجميلة- البراعم الغافية-الفراشات الملونة- الطيور الشادية- الشذى الفواح...)، ولكن اللافت للنظر من بين هذه العناصر هو (البرعم الغافي)، ففي: "صباح الخير":

فهذا البرعم الغافي

يعانق يانعَ الزهْرِ

وفي: "زهور الخمائل":

أو بُرْعُماً في غَفْوِهِ

حاكى وليداً نائما

والعلاقة بين البرعم الغافي والطفل الصغير واضحة، فكلاهما ضعيف لا يستقيم عوده إلا بغيره، يستمد غذاءه من بيئته، فتتشكل ملامحه، وتتكون خصائصه، وكلاهما بديع المنظر، بهي الصورة، غاف بريء، لا يعكس إلا كل جمال ونقاء.

وتتعانق براعة الخيال وجمال التصوير، مع العاطفة القوية المثيرة التي تجعل الطفل مشدوها، في حالة من الترقب واللهفة، وهو يتابع الأحداث، ويتمثلها كأنها أمام ناظريه، ففي: "السمكة الصغيرة"[1]، تستجيب سمكة صغيرة لدعوة صديقتها إلى العوم في الأعماق البعيدة: (مجزوء الرجز)

هيّا بنا تقدَّمي نغوصُ بعضَ ساعهْ

قالت: نعم صديقتي فلْتأمري مُطاعهْ

فغاصتا في لحظةٍ لتُظهرا البراعهْ

وهنا تحدث المفاجأة المذهلة، التي تعد عقابا قاسيا على مجاوزة الحد، وخروجها عن طاعة أمها، وتجاهل نصائحها ووصاياها، وانسياقها وراء دعوة مجهولة العواقب:

وإذْ بِحُوتٍ مُقبلٍ في جَوْفه مَجاعهْ

يَهُمُّ بالتهامها يحومُ في بَشاعهْ

فحدَّقَتْ عيونَها تصيحُ في ضَراعهْ

تبكي على مصيرها وتطلبُ الشفاعهْ

فما أفادَ حزنُها فقد غدتْ مُضاعهْ

---

(١) أناشيد الطفولة ص ١٠.

لا تكتفي "شاعرة الوادي" بالتأليف بين عناصر الصورة، بل تخلع عليها من حسها ورُوحها ما يكسبها الإثارة ودرامية الصراع والمتعة التي ينشدها الطفل، وتتغياها الشاعرة، لتضمن استحواذ شعرها على كِيان الطفل وحسه وشعوره، وفي الوقت ذاته تمنح الطفل في صورها الرغبة في الإقبال على الحياة والمشاركة فيها، وحب الأسرة والمجتمع والوطن والإنسانية، وهذا من أهم خصائص أدب الطفل عامة(١).

والحقيقة أن التشويق الخيالي في شعر الطفل لا يعني بالضرورة ابتكار الصور، بقدر ما يعني التأليف بين عناصرها، وتظليلها وتلوينها بما يناسب خيال الطفل، وإضفاء طابع الفن عليها، وحينئذ تكون بالنسبة للطفل طريفة مبتكرة.

الصورة في شعر الأطفال عند "نوال مهنى" تعتمد على الألفاظ الرقيقة، والتعبيرات البسيطة، المرتبطة بالواقع، فلا تزدحم بالمفردات الجديدة، ولا تنقل أفكارا عميقة الأغوار، ولا تنتهج طريقة فلسفية تؤدي إلى تعقيد المعنى، لوعيها الكامل بالحالة المزاجية للطفل، حيث إنه ينفر مما يرهقه، أو يحتاج إلى بذل جهد، وإعمال عقل، وهذا أمر جوهري يتباين فيه أدب الأطفال عن أدب الراشدين؛ فإن المعاني فيه أعمق، والخيال أجنح، والصور أحكم وأكثر ألوانا وظلالا، "أما المجازات والكنايات والإشارات الضمنية في شعر الأطفال، يجب أن تكون محدودة وقليلة، ويجب أن تكون متعلقة بالموضوعات التي تدخل في نطاق تجارب الصغار"(٢).

المبحث الخامس: الإيقاع الغنائي السريع:

الموسيقى في الشعر عنصر من أقوى عناصره التي سيظل يزدان به ويمتاز عن غيره من فنون الأدب الأخرى، ومتى فقد الشعر موسيقاه، فقد خلا من أهم عوامل الجذب والتأثير فيه؛ فالموسيقى الشعرية ليست مجرد حلية لفظية أو تطريز شكلي أو زخرف ظاهري، بل هي أعمق من ذلك وأبعد، بما لها من علاقة وطيدة بالمعنى، وصلة قوية بالمضمون، ويكفي موسيقى الشعر شرفا أنها وسيلة لجذب الأنظار ولفت الانتباه، تذلل الطريق للفكرة لتتمكن في النفس، وتمتزج بالحس والشعور، وأنها أيضا وسيلة للمتعة الوجدانية الخالصة.

والموسيقى تهيئ النص الشعري للإنشاد، الذي كان ملازما للشعر منذ عهده الأول، فقد أجمعت الروايات على أنه كان ينشد في أسواق الجاهليين، فيهز قلوب السامعين هزا، ويطرب القوم لذلك الإنشاد(٣)، فلولا ما فيه من أوزان موسيقية، وخصائص إيقاعية، ما استطاع القوم إنشاده، وما احتفوا به في مجالسهم ومنتدياتهم كل هذه الاحتفاء الذي سجلته كتب الأدب، ولذلك كان المأثور من الشعر أضعافا مضاعفة إذا ما قورن بالمأثور من غيره من فنون النثر، فسهل حفظه وخفّت روايته.

---

(١) ينظر: المدخل إلى أدب الطفل: ص ٦٩.

(٢) أدب الأطفال دراسة وتطبيق، د. عبد الفتاح أبو معال ص ٩٣، دار الشروق-عمّان- الأردن، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

(٣) ينظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص ١٦٠، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٥٢م.

وشعر الأطفال لا يتنازل عن هذه الخصائص الصوتية التي تقربه إليهم، لأنهم أحوج إلى أسلوب يستميلهم ويستقطبهم، وأحوج إلى إنشاد الكلام وتكراره، ولا يلج الشاعر إلى وجدان الطفل إلا عن طريق حاسة السمع أولا، فإذا استرعى انتباهه، فقد اخترق قلبه، واستطاع إيصال رسالته، لأن "الأطفال إيقاعيون بالفطرة، فهم ينامون على صوت أغاني أمهاتهم، ويحبون العبث بما يصدر من أصوات مختلفة، ويترنمون بما يحفظون من كلمات فيها نغمات غنائية...، وكذلك يستجيبون للقافية الواحدة في الشعر، والتكرار في الإيقاع، لأن التكرار يؤكد التأثير الصوتي، ويؤكد المعنى والموضوع والموسيقى"[١]

وشعر الأطفال عند "نوال مهنى" من الناحية الموسيقية، يتمتع بمجموعة من الخصائص الصوتية التي تجعله قريبا من نفس الطفل، محببا لديه، وتدل على فهم الشاعرة لذائقة الطفل في مراحلها الأولى، وحاجته إلى الإيقاع السريع "... الذي يربط الطفل بمشاهداته وحركاته وسكناته، فكلما تكررت الحركة والسكون على التوالي توصلنا إلى إيقاع قريب من مشاعر الطفل التلقائية"[٢].

وهذا الإيقاع السريع هو أول ما يبدو بجلاء من خصائص شعر الأطفال عند "شاعرة الوادي"، فصدرت فيما كتبت عن هذا الإيقاع الذي يتوافق مع قفزات الطفل وحركته الدائبة، فكانت البحور الخفيفة أكثر البحور الشعرية التي امتطت الشاعرة صهوتها.

وباستقراء شعر الأطفال عند "نوال مهنى" يتبين أن معظمه جاء في البحور المجزوءة والمشطورة، وأن نسبة قليلة منه جاءت في البحور التامة؛ فلم تستخدم من البحور التامة بكثرة إلا بحر المتقارب، يليه بحر المتدارك، وهما بحران خفيفان يتمتعان بموسيقى عالية، ونغمة سريعة؛ فالمتقارب يتناسب مع الأناشيد والشعر الحماسي، فقد سمي متقاربا لتقارب أوتاده بعضها من بعض، والمتدارك أو المحدث، وإن كان قليل الاستعمال، لكنه يعد كذلك من البحور الخفيفة التي تتناسب مع الموضوعات الرشيقة والهزلية.

وقد جاء بحر الرمل التام في قصيدة واحدة بعنوان: "صائد الطيور"، ومطلعها:[٣] (الرمل)

يزرع الحقلَ شِباكا وحبالاً

ثم يرمي الحَبَّ ما بين الشروخْ

أما الكامل التام فقد استخدمته الشاعرة مرتين في قصيدتين إسلاميتين؛ الأولى بعنوان: "شهر الصيام"، ومطلعها:[٤] (الكامل)

شهرُ الصيام يَفِيضُ بالبركاتِ

شهرٌ كريمٌ عاطرُ النفحاتِ

والثانية بعنوان: "بشراك يا شهر الربيع"، ومطلعها:[٥] (الكامل)

---

(١) أدب الأطفال دراسة وتطبيق: ص ٩٩.

(٢) المرجع في أدب الطفل: ص ١٠٢.

(٣) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٢.

(٤) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٣٣.

(٥) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٤٣

وأتى صباحٌ مُشْرِقٌ بسّامُ
ضاعَ الأريجُ ورقَّت الأنسامُ

وهو ما يدل على استخدام هذا البحر فيما يناسبه من الأغراض الرصينة والجادة، لأنه يعد من البحور القوية، وكأن الشاعرة في هاتين القصيدتين لم تكن تكتب للأطفال، بل كانت تحتفل بهاتين المناسبتين العظيمتين بما يليق من فخامة الغرض والوزن؛ يقول "حازم القرطاجني": "ولمّا كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يُقصد به الجِد والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد به الصَّغار والتحقير وجب أن تُحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان، ويُخيِّلُها للنفوس؛ فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضعٍ قصدا هزْليا أو استخفافيا، وقصد تحقير شيء، أو العبث به، حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصِد"(١)

وهذا التناسب بين البحر والغرض في شعر "نوال مهنى" هو ما لاحظه أيضا د/ عبد الحميد إبراهيم،(٢) حيث يقول: "تُنَوِّع البحورَ والأوزان حسب تنوع التجربة، فحينما تكتب شعرا للأطفال، كما في قصيدتيها: قطتي، وزهرة، فإنها تختار تلقائيا وزنا قصيرا وراقصا، وهذا يختلف إذا ما كتبت شعرا حول مناسبة وطنية عامة، فإنها تختار وزنا طويلا"(٣)

ومن البحور التي غابت في هذا النِّتاج الشعري: الطويل- السريع- المنسرح- المضارع- المقتضب- المجتث، وهذا أمر طبَعي، حيث إنه لا ينبغي أن تُستوعب جميع البحور في دواوين الشعراء، كما أن بعض هذه البحور يعد من الأبحر قليلة الاستعمال في الحديث كالمقتضب والمضارع، والطويل لا يتناسب مع وِجدان الطفل، وإنما يتناسب مع الصحراء في طولها وعرضها وامتدادها وانسيابها، ولذلك كان أكثر الشعر الجاهلي على هذا البحر.

وإذا كانت العلاقة بين الغرض الشعري والبحر محلَّ خلاف بين النقاد، فمن الواضح الذي لا يحتمل الخلاف من خلال شعر الأطفال عند "شاعرة الوادي" استخدام الأوزان القصيرة: المجزوءة والمشطورة، فكانت في مجملها مناسبة للطفل وما يحتاجه وجدانه، وما تتطلبه روحه الوثابة وحركاته وقفزاته الكثيرة من إيقاع سريع.

أما القافية المتنوعة في عدد من القصائد، فقد واكبت "شاعرة الوادي" الحركة الشعرية الحديثة التي تدعو إلى التجديد، ومحاولة التحرر من سلطان القافية الموحدة كرد فعل للملل الذي انتاب الشعراء من الرتابة التي طبعت الشعر العربي على المدى الطويل، وبعامل الانفتاح على المضامين والأشكال

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص ٢٦٦، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٩٨٦م.
(٢) عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنيا.
(٣) ديوان نبع الوجدان: المقدمة ص ١٤.

الجديدة عند الغرب[١]، وخاصة أن في شعرها الذي قدمته للراشدين ما يثبت وجود هذا التحرر من ناحية، أو مراعاة لنزوع الأطفال إلى التغيير، وحبهم الجديد، وتشوفهم إلى التنوع من ناحية أخرى.

وهذا التنوع في القافية –بدافع من التأثر بالرومانسية الحديثة، أو بدافع الاستجابة لخصائص شعر الأطفال– يعد ملمحا جليا في عدد من القصائد عند شاعرتنا، منها في ديوانها الأول: "أغاني الطفولة": "هيا بنا لنغني"[٢]، و"جدتي"[٣]، و"الطفل والقط"[٤]، و"مدرستي"[٥]، و"بين دجاجتين"[٦]، وفي ديوانها الثاني: "أناشيد الطفولة": "يا مصر يا أمي"[٧]، و"الأم وطفلها"[٨]، و"متحف الآثار"[٩]، و"نشيد البلبل"[١٠]، و"أفديك يا أمي"[١١]،: وفي ديوانها الأخير: "أهازيج الطفولة": "فرحة العيد"[١٢]، و"نشيد الفلاح"[١٣]، و"النملة الرشيدة"[١٤].

ولا ريب في أن تنوع القافية في أناشيد الأطفال، يساعدهم على تقسيمها، ومن ثم على فهمها وحفظها، أكثر من الأناشيد ذات القافية الموحدة، وذلك لأن فيها تجديدا لنشاطهم مع كل قافية جديدة، فتستثار حواسه مرة أخرى، ويتنبه خاطره من جديد، فلا يكاد يشعر بالملل حتى توقظ القافية الجديدة خواطره من جديد.

ويجتمع التكرار مع التنوع في القافية في بعض القصائد، فتكون أكثر جاذبية، وأعذب إيقاعا، ومن ذلك قصيدة: "مصر الحبيبة"، تقول فيها: [١٥] (مجزوء الكامل)

مصرُ الحبيبةُ أُمُّنا بيد الحنانِ تضمُّنا
هي عِزُّنا، هي مجدنا نحمي حماها كلُّنا
مصـــرُ الحبيبـــة أُمُّـــنا
يا مصرُ يا خيرَ الأممْ
أنت الأصالةُ من قِدَمْ
فيكِ السماحةُ والكرمْ
دامت لنا أمُّ الدُّنا
مصـــر الحبيبـــة أمـــنا

(١) ينظر: خصائص الشعر الحديث، د. نعمات أحمد فؤاد ص ٣٤، دار الفكر العربي ١٩٨٠م، وينظر كذلك: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، د. فؤاد الفرفوري ص ٢١٧، الدار العربية للكتاب– طرابلس ١٩٨٨م.
(٢) ديوان أغاني الطفولة: ص ٥.
(٣) ديوان أغاني الطفولة: ص ١٣.
(٤) ديوان أغاني الطفولة: ص ١٥.
(٥) ديوان أغاني الطفولة: ص ٢٥.
(٦) ديوان أغاني الطفولة: ص ٣٠.
(٧) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٦.
(٨) ديوان أناشيد الطفولة: ص ١٤.
(٩) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٢٦.
(١٠) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٠.
(١١) ديوان أناشيد الطفولة: ص ٣٧.
(١٢) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٦.
(١٣) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٢١.
(١٤) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٤٢.
(١٥) ديوان أهازيج الطفولة: ص ٤٥.

ويسير هذا النشيد الوطني على هذه الوتيرة التي تلتئم مع طبيعة الإنشاد واصطفاف الأطفال في مكان واحد، وتَرداد صوت جماعي واحد.

وقد يكون التَّكرار بدون التنوع في القافية، وهذا ما نجده في: "موطن الأنصار.. المدينة المنورة"، ولكن الصوت المتكرر يأتي بعد كل أربعة أبيات؛ فتتكون القصيدة من ثلاثة مقاطع، في كل مقطع أربعة أبيات، يليها شطر بيت يشبه الخرجة في الموشحة الأندلسية، يتكرر كل مرة، وهو قولها: (يا موطن الأنصار)، فتقول في المقطع الأول:[١] (مجزوء الرجز)

يا موطنَ الأنصارْ يا هجرةَ المختارْ
أمجادكِ الكبرى طارت بها الأخبارْ
بُوركتِ مِن دارٍ لاذتْ بها الأخيارْ
كانت لهم حِصْنا من عُصبةِ الفُجّارْ
يا مــوطــنَ الأنــصـــارْ

ومع ملاحظة تنوع القافية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى"، نلحظ أيضا الالتزام بنظام القافية الموحدة في عدد كبير من هذه الأشعار، مما يلفت الأنظار إلى أصالة القيم الفنية عند "شاعرة الوادي"، وإلى مواكبتها الحركةَ الإبداعية الحديثة كذلك.

ولعل أهم ما يمكن الالتفات إليه في النص الشعري للطفل عند شاعرتنا من الناحية الصوتية، هو اللغة التي تنساب في عفوية وتلقائية، بعيدا عن التكلف الذي يمنع انسجام الكلمة مع جارتها، والالتزام بفصاحة الكلمة ورصانتها، وسهولتها وألفتها التي تأسر الطفل، وتسبي أحاسيسه.

---

(١) ديوان أهازيج الطفولة: ص ١٩.

(خاتمة)

يمكن القول بأن شعر الأطفال عند "نوال مهنى" يعبر عن تجربة أدبية عميقة، تولدت عن إحساسها القوي بأهمية بناء شخصياتهم على مستويين رئيسين: التربوي والجمالي، فسطرت إبداعها الشعري للأطفال محملا بكثير من القيم الإسلامية والاجتماعية والوطنية، في نسق شعري فياض بالمتعة والجمال والإثارة، مكتنز بالقصص والحكايات اللطيفة التي تداعب خيال الطفل برفق، وتتسرب إلى وجدانه بسلاسة.

قدمت للطفل تجربتها على الشكل الذي يحب، في لغة عذبة قريبة، وأسلوب رشيق جذاب، وموسيقى هادرة تتراقص معه في حركاته ووثباته، تحمل هذه التجربة ملامح الأمومة الشفيقة، والأنوثة الرقيقة، والإبداع الهادف الأصيل، الذي أثبتت به أن الإبداع الشعري للأطفال ليس تزجية لأوقات الفراغ، أو ضربا من العبث أو نافلة الكلام.

وقد كشفت هذه الدراسة عن جملة من النتائج، وأسفرت كذلك عن بعض من التوصيات؛ أما نتائجها فتتلخص في الآتي:

– النهوض بمهام التربية ورعاية الناشئة، ليس مسئولية الدعاة والمصلحين فحسب، بل يشاركهم فيها الأدباء، وربما كان الأدباء أكثر تأثيرا في المراحل العمرية الأولى، لما يتمتع به الخطاب الأدبي من إمتاع فني نافذ.

– اللغة العربية تتمتع بالمرونة، التي تجعل منها أداة خطاب متنوع في مستوياته وَفق المقامات وقدرات المتلقين، ودرجة ثقافتهم؛ فتدور بين الجزالة والرصانة والسهولة والبساطة مع المواقف والسياقات

المختلفة، وهو ما يتضح من أسلوب الخطاب الشعري للأطفال عند "نوال مهنى".

– ليست أدبية اللغة وشاعريتها في اللهث وراء الألفاظ المعجمية العتيقة، فاللغة في تطور مستمر، قادرة على تلبية حاجات العصر، ومستلزمات الحياة الحضارية، مع الاحتفاظ بأصالتها وخصائصها وقواعدها.

– يمثل شعر الأطفال عند "نوال مهنى" احتضانا للطفل، واحتواءً له، يجد فيه نفسه وأقرانه وبيئته، بما فيه من توظيف فني للضمائر.

– تعد البنية القصصية في هذا الإبداع الشعري عالمَ الطفل الذي يُكسبه التعرف إلى كل ما يحيط به بطريقة فنية مثيرة، تختزن في ذاكرته، وتنطبع في وجدانه.

– يعد الخيال عنصرا قويا من عناصر "نوال مهنى" في شعرها للأطفال، اعتمدت عليه في تحفيز مشاعر الطفل، وكسب تعاطفه، وضمان اندغامه في النص الشعري ومعايشته.

– عذوبة الإيقاع الشعري في تنوعه وموسيقاه المتموجة الهادرة، وتعدد قوافيه، وإيثار البحور الشعرية الخفيفة، وتناسبه مع حالة الطفل في حركته الدائبة، وقفزاته ووثباته، وروحه المرحة التي تميل فطرةً إلى اللحن والتوقيع الموسيقيّ، كانت أساسا في نجاح "شاعرة الوادي" في هذه التجربة الإبداعية.

توصيات الدراسة:

– توصي هذه الدراسة بضرورة عناية الأدباء والنقاد بأدب الطفل، وتكثير النتاج الأدبي المقدم لهم، وتقييم هذا الإبداع ودراسته، ومراجعة أسسه الفنية وتطويرها، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تؤدي دورها في تشذيب أدب الطفل وارتقائه.

– ضرورة اهتمام المؤسسات الرسمية بما يقدم للأطفال، والعمل على انتقاء ما يحمي هُوِيَّةَ المجتمع، ويرسخ القيم والأخلاق، ويُعظِّم في نفوس الأطفال معانيَ الأمل والجد والبناء والعلم والتضحية والفداء، ويمدهم كذلك بثروة لغوية هائلة تربطهم بالماضي التليد، وتساعدهم على فهم الحاضر والواقع.

(فهرس المصادر والمراجع)

- أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، د. أحمد زلط، دار النشر للجامعات المصرية- مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- أدب الأطفال دراسة وتطبيق، د. عبد الفتاح أبو معال، دار الشروق-عمّان- الأردن، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- أدب الأطفال في الوطن العربي: قضايا وآراء، أحمد فضل شبلول، دار الوفاء- الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- أدب الأطفال بين الوعي والخيال، ليلى صايا سالم، الموقف الأدبي: العدد ١٥٩و١٦٠، اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٤م.
- أدب الأطفال وأثره في تكوين شخصياتهم، داود بورقيبة، مجلة دراسات، العدد التاسع عشر- الجزائر ٢٠١٢م.
- أدب الأطفال: دراسة نظرية وتطبيقية، د. محمد علي الهرفي، دار الاعتصام- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- أدب الأطفال، د. فوزي سعد عيسى، دار الوفاء- الإسكندرية- مصر ٢٠٠٦م.
- أدب الطفل: مفاهيم وأهداف، ميلود شنوفي، العدد الثامن عشر، دراسات أدبية مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ٢٠١٥م.
- الأدب والطفل، محمد أحمد حمدون، العدد ٢١، رسالة الخليج العربي- السعودية ١٩٨٧م.
- أسئلة الأطفال الدينية والإجابة عنها، أحمد حسن الخميسي، الوعي الإسلامي، العدد ٥٢٨، المجلد ٤٦، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ٢٠٠٩م.
- أسئلة أدب الطفل، عبد الله أبو هيف، الموقف الأدبي، العدد ١٢٧- اتحاد الكتاب العرب ١٩٨١م.
- الأعلام للزركلي، دار العلم للملاين- بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- انقرائية اللغة المقدمة للطفل، فتح الباب عبد الحليم سيد، تكنولوجيا التعليم، العدد الرابع، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٢٠١٢م.
- أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، د. فؤاد الفرفوري، الدار العربية للكتاب- طرابلس ١٩٨٨م.
- أوراق شاعرة، نوال مهنى، الجزء الأول، دار حراء للطباعة- المنيا ٢٠٠١م.
- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، د. علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دكتور زكريا الشربينى- دكتورة يسرية صادق، دار الفكر العربي ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الجامع الصحيح: سنن الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي- بيروت (د.ت).

- الجميلة والعراف، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الحرف العربي والشخصية العربية، حسن العباس، دار أستانة- دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- حكاية الطفل وسؤال الهوية، د. أحمد عبد العظيم محمد، (خطاب النثر العربي: بلاغة التشكيل والتأويل)، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- حوليات التراث العدد السادس- جامعة مستغانم ٢٠٠٦م.
- خصائص الشعر الحديث، د. نعمات أحمد فؤاد، دار الفكر العربي ١٩٨٠م.
- دراسات في أدب الطفل ونصوصه، د. حسام محمد علم، جامعة الزقازيق (د. ط، د.ت).
- ديوان أبي إسحاق الإلبيري، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ديوان أحمد شوقي، دار صادر- بيروت (د.ت).
- ديوان "أشجار الشارع أخواتي" مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ديوان أغاريد الربيع، نوال مهنى، ص ٣، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.
- ديوان أغاني الطفولة، نوال مهنى، مكتبة الآداب- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ديوان الأطفال في شعر أحمد شوقي، عبد المنعم عواد يوسف، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٩م.
- ديوان أناشيد الطفولة، نوال مهنى، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ديوان أهازيج الطفولة، نوال مهنى، مؤسسة طيوف ٢٠١٩م.
- ديوان إيليا أبي ماضي، دار العودة- بيروت ١٩٩٦م.
- ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق/ أحمد أمين، وأحمد الزيني، وإبراهيم الإبياري، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)- دار الكتب المصرية ٢٠١٨م.
- ديوان شعر أحمد نجيب للأطفال والناشئين، تقديم د. سمير سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م.
- ديوان القاضي الجرجاني، تحقيق/ سميح إبراهيم صالح، دار البشائر- سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ديوان نبع الوجدان، نوال مهنى، دار الفكر العربي ١٩٩١م.
- ذات مرة، نوال مهنى، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- سلطان العلماء والسلطان نجم الدين: مسرحية نثرية قصيرة، مجلة الأدب الإسلامي الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، العدد ١٠٠، المجلد الخامس والعشرون ديسمبر ٢٠١٨م.
- الشوقيات لأمير الشعراء: أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.
- الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، د. عبد الله التطاوي، دار غريب- القاهرة ٢٠٠٢م.
- في أدب الطفل المعاصر: قضاياه واتجاهاته ونقده، د. أحمد زلط، دار هبة النيل العربية- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

- فيض الأشجان، نوال مهنى، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
- المدخل في فن التحرير الصحفي، عبد اللطيف محمود حمزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الخامسة.
- المدخل إلى أدب الطفل د. لطفي أحمد بابكر، ود. فوزي محمود خضر، مكتبة الملك فهد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- المرجع في أدب الطفل، محمود حسن إسماعيل، دار الفكر العربي ٢٠٠٤م.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان– بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٨٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي– بيروت ١٩٨٦م.
- المواطنة، إبراهيم ناصر، مكتبة الرائد العلمية– عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٥٢م.
- النبي، جبران خليل جبران، ترجمة موازية للنصين الإنجليزي والعربي: د. ثروت عكاشة، الطبعة التاسعة، دار الشروق ٢٠٠٠م.
- النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى– مصر، الطبعة الثانية (د.ت).
- نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر العلوي، تحقيق د. نهي عارف الحسن، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

الرسائل العلمية:

- دور منظمة اليونيسيف في تمويل التعليم الأساسي (ولاية شمال دارفور): رسالة ماجستير للباحثة/ إخلاص محمود عفيفي، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية التربية ٢٠٠٧م.

المجلات والدوريات:

- مجلة الأدب الإسلامي (رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، العدد ٣١، المجلد الثامن ٢٠٠٢م، العدد ٦٩ المجلد الثامن عشر ٢٠١١م.
- مجلة خطوة، العدد ١٦، المجلس العربي للطفولة والتنمية ٢٠٠٢م.
- مجلة السماط– البحرين ٢٠١٤م.
- مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد الحادي عشر ٢٠١٣م.

(فهرس الموضوعات)

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	مقدمة	١٠١١
	تمهيد:	١٠١٢
٢	التعريف بالشاعرة	١٠١٢
٣	مكانتها الأدبية	١٠١٣
٤	أعمالها الأدبية	١٠١٤
١٨	نوال مهنى كاتبة	١٠١٤
١٩	نوال مهنى شاعرة	١٠١٨
٢٠	المقصود بشعر الأطفال وأهميته	١٠٢٣
٢١	المحور الأول: القيم التربوية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى":	١٠٢٦
٢٢	المبحث الأول: القيم الدينية والروحية	١٠٢٨
٢٣	المبحث الثاني: القيم الأخلاقية والمعرفية	١٠٣٣
٢٤	المبحث الثالث: القيم الاجتماعية والآداب العامة	١٠٣٨
٢٥	المبحث الرابع: القيم الوطنية وتعزيز الانتماء	١٠٤١
٢٦	المحور الثاني: القيم الفنية في شعر الأطفال عند "نوال مهنى":	١٠٤٤
٢٧	المبحث الأول: التناسبية اللغوية	١٠٤٤
٢٨	المبحث الثاني: توظيف الضمائر	١٠٤٩
٢٩	المبحث الثالث: البنية القصصية	١٠٥٣
٣٠	المبحث الرابع: التشويق الخيالي	١٠٥٩
٣١	المبحث الخامس: الإيقاع الغنائي السريع	١٠٦٣
٣٢	خاتمة	١٠٦٧
٣٣	فهرس المصادر والمراجع	١٠٦٩
٣٤	فهرس الموضوعات	١٠٧٢